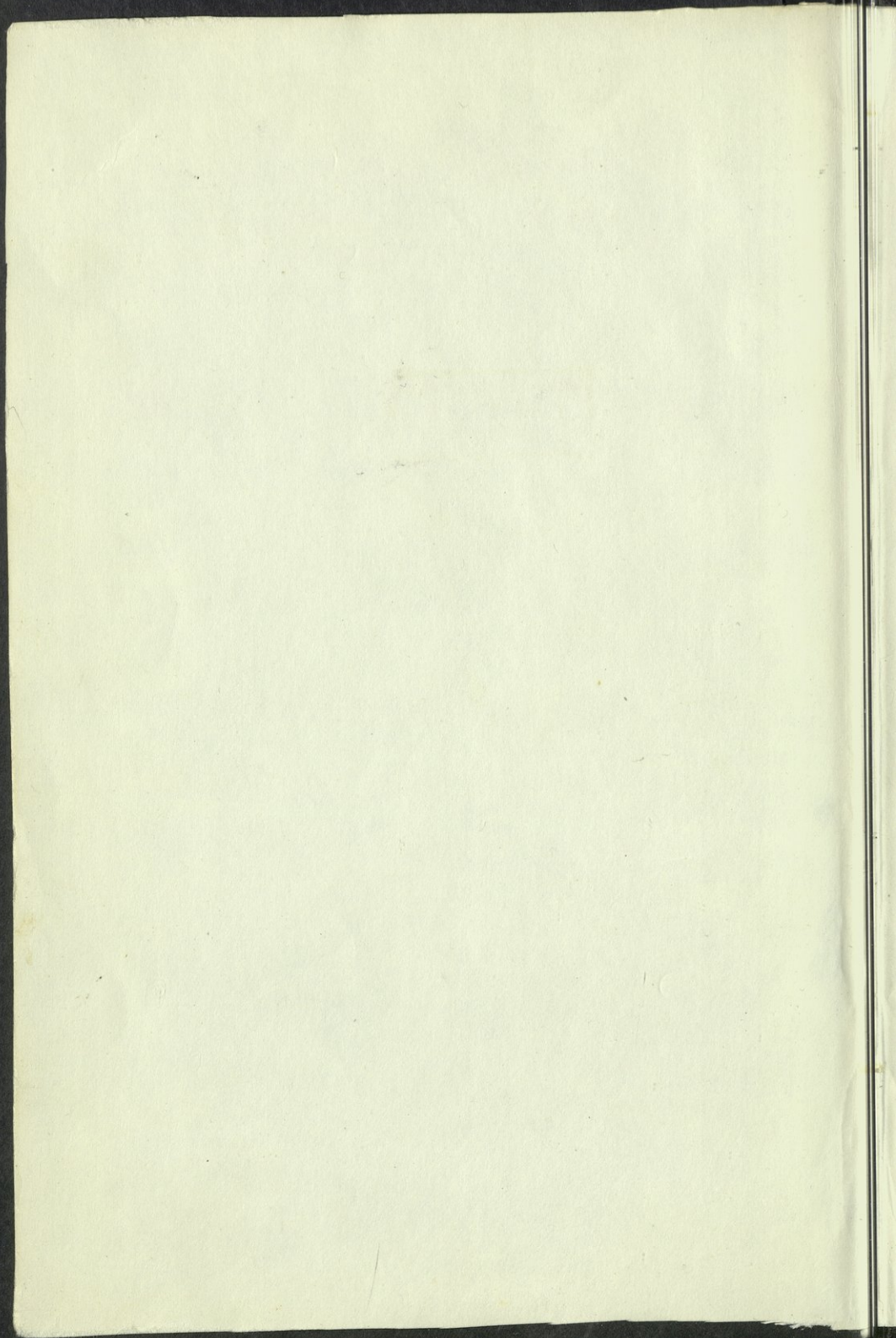
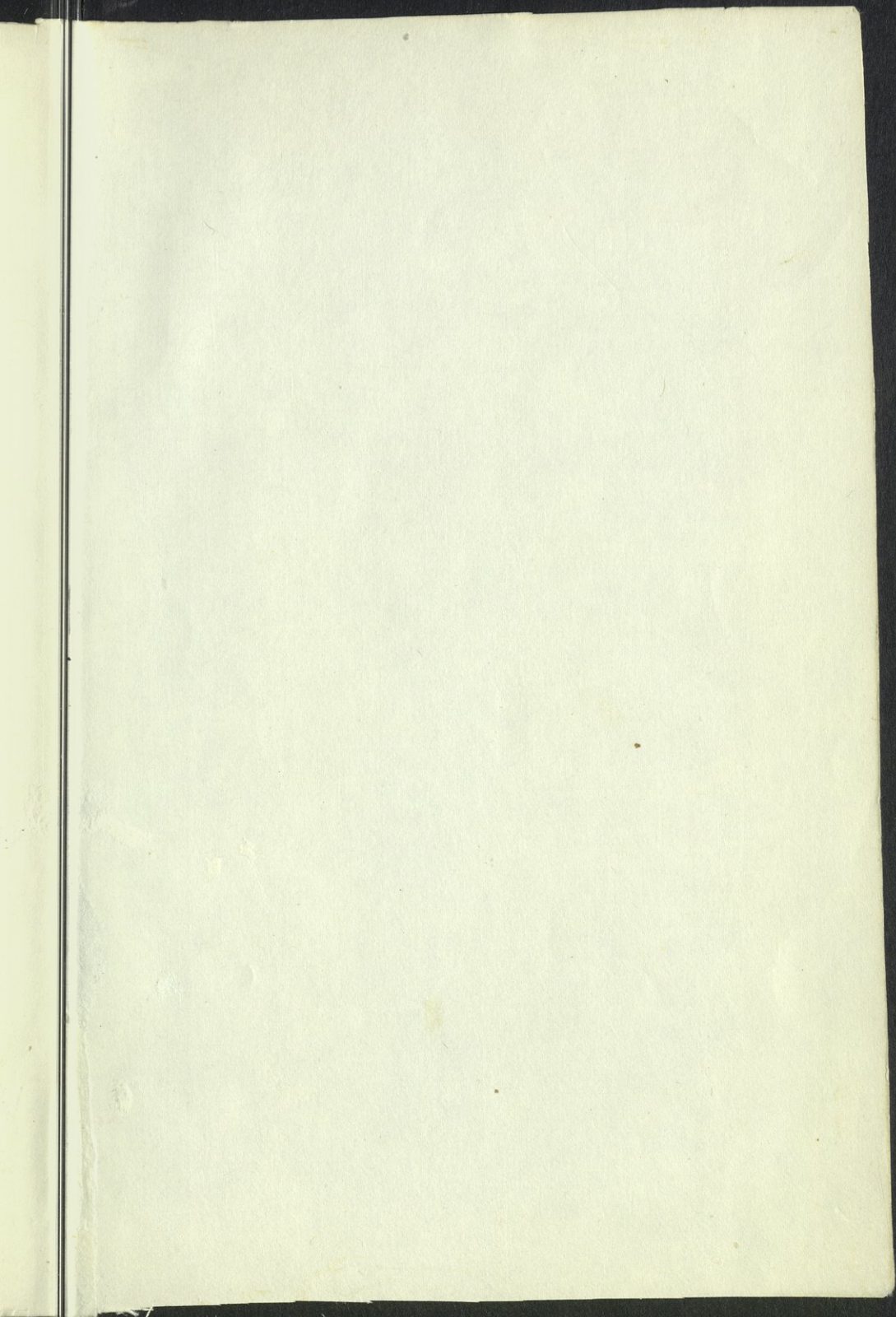
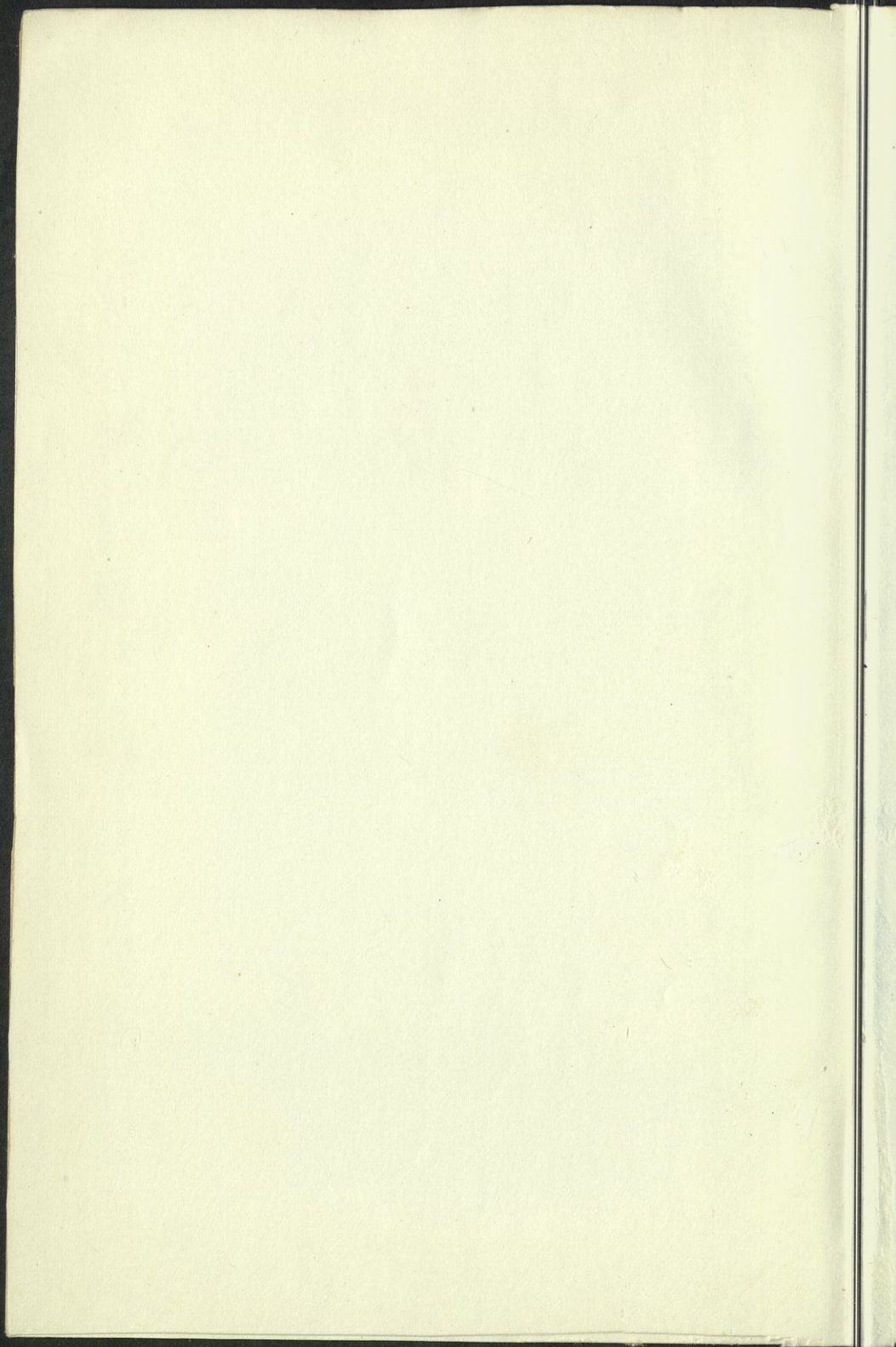
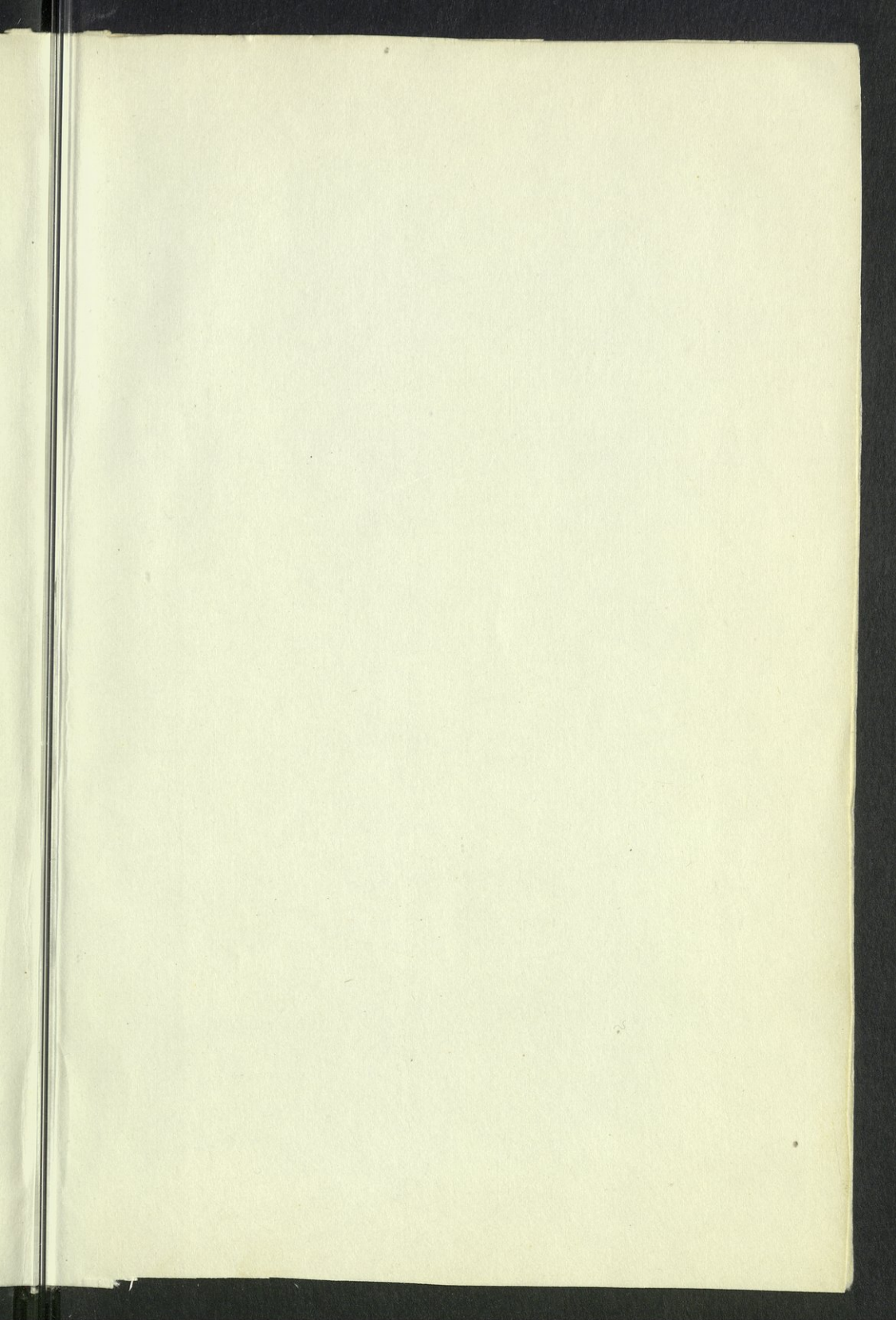


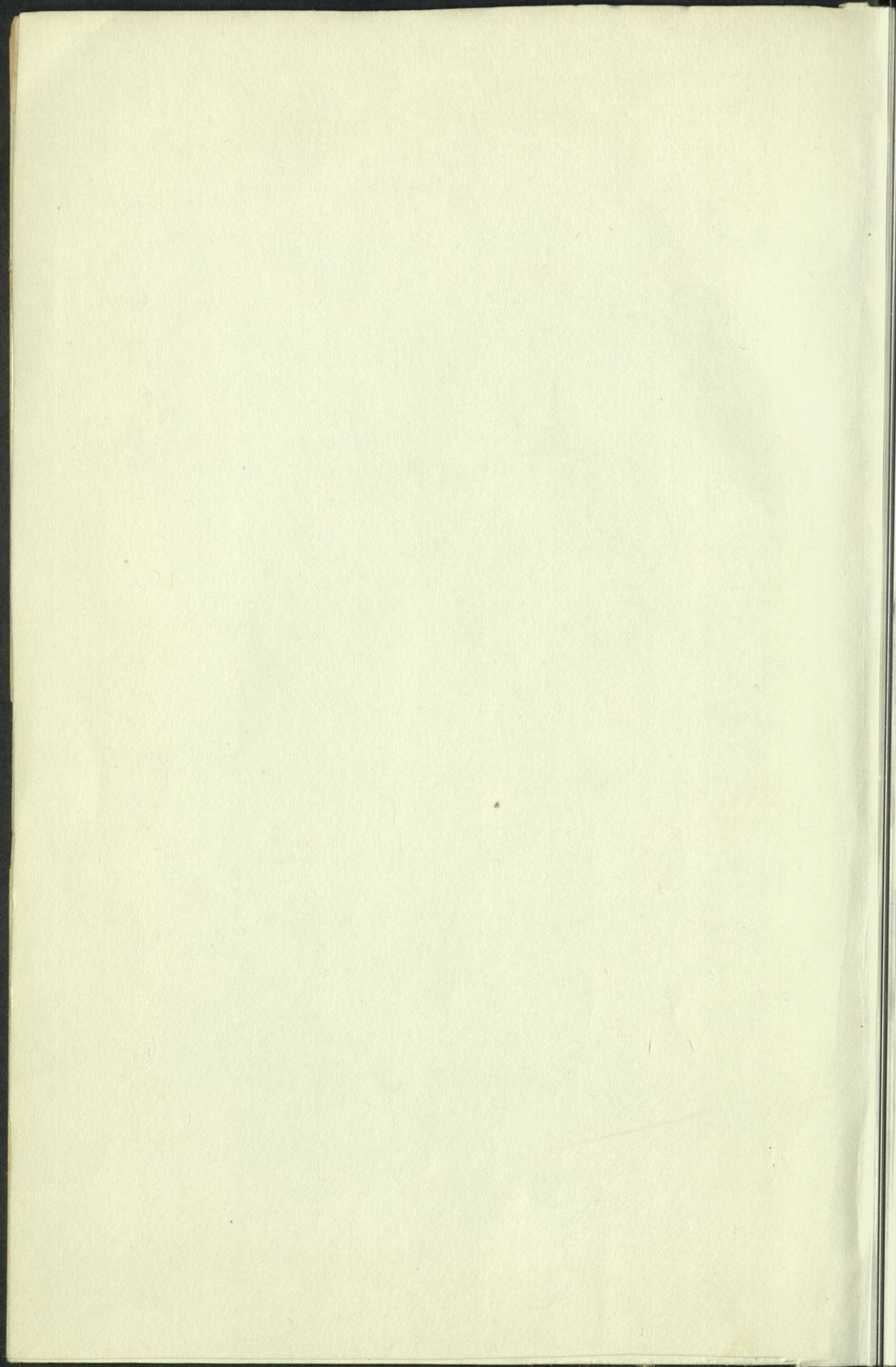
AMERICAN UNIVERSITY  
LIBRARY  
OF BEIRUT

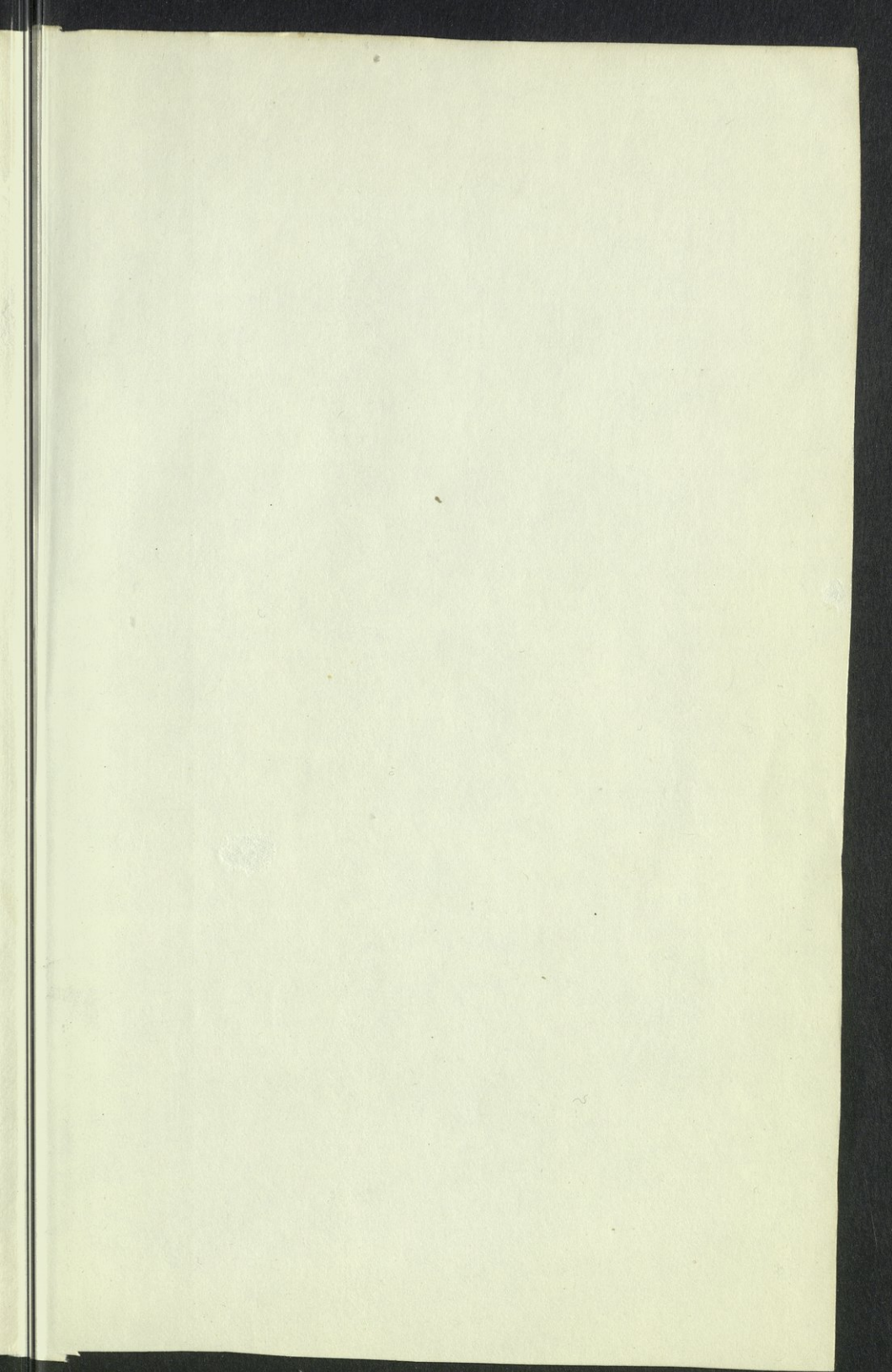




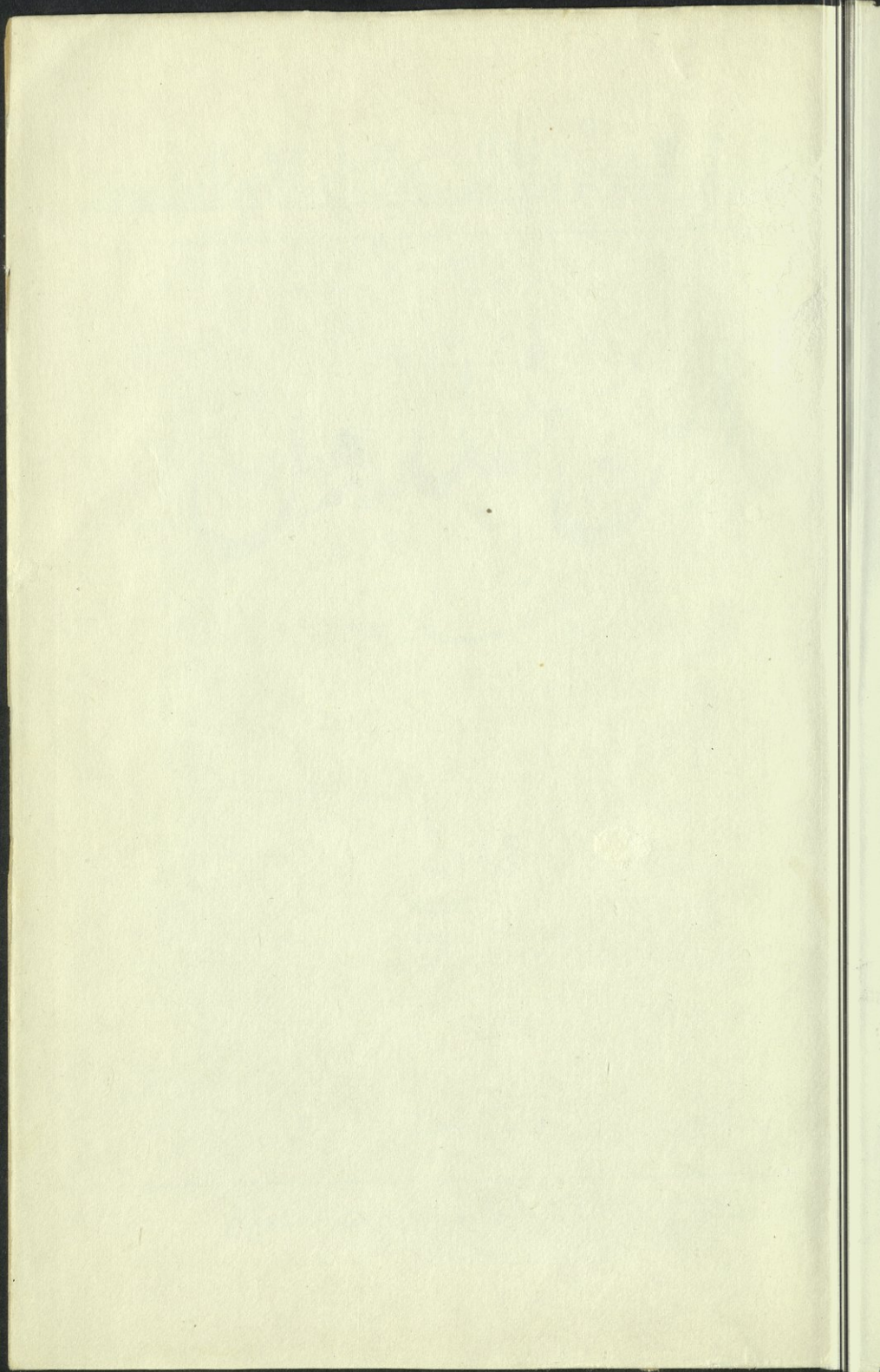














928.927

I45FA

C.1

# دراسات قصبية في الأدب والتاريخ والفلسفة

- ٧ -

# ابن خلدون

البيد

## ومقدمته

تأليف

ع. فزوزي

دكتور في الفلسفة

عضو الجمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م

١٩٥١

منشورات مكتبة منيمنة - بيروت - المعروض



# د اساسات قصييرة في الادب والتاريخ والفلسفة

- ٧ -

كلمة في

# ابن خلدون

البيبا

ومقدمة

- اذا لم يكن ابن خلدون مؤسس علم التاريخ فهو بلا شك موجد علم الاجتماع .
- ابن خلدون واحة في صحراء العصر الاسلامية المتأخرة .

تأليف

عزفونج

دكتور في الفلسفة

عضو المجتمع العلمي العربي في دمشق

عضو جمعية البحوث الاسلامية في تونس

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧٠ هـ = ١٩٥١

الطبعة الاولى

١٩٤٣ = هـ ١٣٦٢

الطبعة الثانية

٥١/٣/٢٠٠٠/٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

بيروت

١٩٥١ = هـ ١٣٧٠ م

## الكلمة الاولى

ليس من دواعي الاسف ان يعرف الغربيون فضل ابن خلدون قبل ان يعرفه الشرقيون انفسهم - فان مثل هذا حدث لكثيرين من كبار المفكرين - ، ولكن الذي يؤسف له حقاً ان يقوم بعض الشرقيين يحطون من قدر ابن خلدون بعد ان جهد الغربيون كل جهد على نشر فضائله واطهارها .

ان المسلمين الذين كتبوا عن ابن خلدون - باللغة العربية خصوصاً - وعرف بعض المعرفة - ثلاثة : احدهم اعجب بالثقافة العربية فكتب فيها بما آداه اليه فهمه فهو مشكور على حسن قصده ، ملوم على ما حمل « فلاسفة الاسلام » من نتائج التشويش والخطب . وثانيهم يقرأ كلمة فيكتب فيها مقالا وتخطر في وهمه فكرة فينشىء فيها مجلدين . وهو ابدأ متردد بين المفهوم وغير المفهوم والمنحول والثابت والممكن وغير الممكن ، لم تره في كتاب الادعية للشك ولا في مقالة الا آخذاً بالظن لم يثبت في حياته شيئاً بل كان ينفي ما ثبت بنفسه . واما الثالث فله حسن مقصد الاول والتنبع لخطوات الثاني همه شكل القصة اكثر مما تهمة قيمتها او عواقبها .

اما « الكلمة » التي تراها الآن في هذا الشكل المتواضع فغايتها اجمال بعض آراء ابن خلدون وتبيان شيء من قيمتها على ان يترك الحكم في مقدار هذه القيمة للقارىء نفسه .

على انه من دواعي السرور ان الله قد قبض لابن خلدون عالماً كبيراً قد يطلع قريباً على قراء العربية بكتاب غاية في النضج ونموذجاً في البحث ومثالا في الانصاف وثروة في القيمة العلمية ، فيحتل ابن خلدون حينئذ في امته مركزاً يليق به ويرفعه الى المركز الذي يحتله في الغرب .

## الكلمة الثانية

في هذه الطبعة الثانية إضافات يسيرة جداً هنا وهناك ، ثم نص جديد من ديباجة المقدمة يمثل ابن خلدون اذا تأنق في أسلوبه . في هذا النص يستعرض ابن خلدون حال التأليف في التاريخ من قبله ، ثم ينتقد ذلك ويدل على مواطن الضعف فيه . بعدئذ يعلن خطته هو في تأليف « تاريخه » .



منذ صدور الطبعة الاولى من هذه الدراسة ( ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م ) صدر في بيروت جزءان للعالم الاجتماعي ساطع الحصري باسم « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » ( ١٩٤٣ و ١٩٤٤ م ) ، فيها بحوث قيمة تتناول نواحي متعددة من تلك المقدمة العظيمة والتي تعد بحق طليعة التأليف الاجتماعي كله على الرغم من ان مقدمة ابن خلدون لم تعرف في الغرب الا في عصر متأخر .

على ان هذه الدراسة لا تزال الى الآن كلمة تعرض بحوث ابن خلدون العظيمة بايجاز ووضوح .

ع . ف

٢٩ جمادى الاولى ١٣٧٠

٧ آذار ١٩٥١



## بعض المصادر والمراجع

المقدمة - مقدمة ابن خلدون ، وهي الجزء الاول من كتاب العبر وديوان  
المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان  
الاكبر . بيروت ، المطبعة الادبية ، الطبعة الثالثة ١٩٠٠ .  
تاريخ ابن خلدون = كتاب العبر النخ ... بولاق ١٢٨٤ ، الجزء السابع ،  
ص ٣٧٩ وما بعدها ( ترجمة ابن خلدون بقلمه ) .  
ده بور = تاريخ الفلسفة في الاسلام ، تأليف ت . ي . ده بور ، نقله الى العربية  
محمد عبد الهادي ابوريدة ، القاهرة ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ .  
دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، تأليف ساطع الحصري ، جزءان ، بيروت  
١٩٤٣ و ١٩٤٤ - هذا الكتاب اوفى ما كتب في دراسة مقدمة ابن خلدون  
مع مقارنات كثيرة بين ما ورد في المقدمة وما جاء في كتب رجال التاريخ  
والاجتماع من الغربيين .

### *Geschichte der arabischen Literatur*

Bd. 2 242 ff. Supplementband 2 342 ff.

### *Introduction to the History of Science*

By George Sarton Vol 3, 1947-1948.

### *The Philosophy of History*

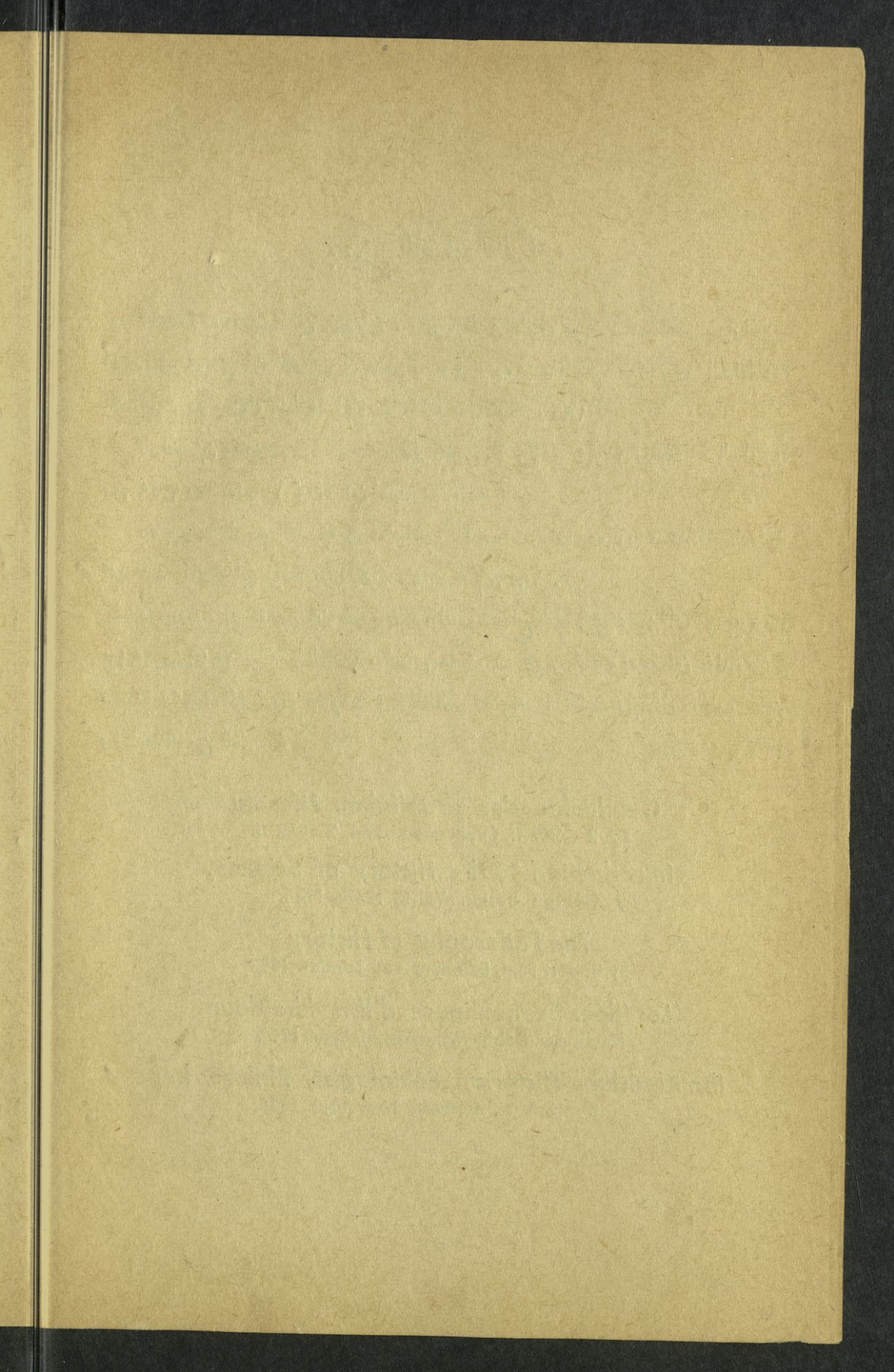
By Robert Flint, Edinburg and London 1893

### *Les Idées Economiques d'Ibn khaldoun*

(Diss), par Sobhi Mahmassani, Lyon 1932.

### *Ibn Khaldun, Historian, Sociologist, Philosopher*

By H. A. N. Schmidt, New York 1930



شهد ابن خلدون عصر التحلل السياسي واجتماعي وفكري في جميع البلدان الاسلامية، وكانت الاعصر التي سبقته من أهم أو تلته اعصر قحط فكري وانحطاط سياسي بالغ . اما الاندلس فكان ظل العرب قد تقاص عن اكثرها ثم استقر فلما خفيفا على غرناطة في الجنوب . ولقد ادرك ابن خلدون نفسه ان هذا الظل زائل عما قريب فقال ( المقدمة ١٤٧ ) « ... كما هو الحال في الاندلس لهذا العهد مع الجلائقة ( نصارى الاندلس ) فانك تجدهم ( اي مسلمي الاندلس ) يتشبهون بهم ( بالجلائقة ) في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم ، حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت . حتى لقد يستشعر من ذلك الناظر بعين الحكمة انه من علامات الاستيلاء ، والامر لله ! »

اما في المغرب ( شمال افريقية ) فان دولة الموحدين التي انبتت ابن باجه وابن طفيل وابن رشد كانت قد ضعفت منذ اوائل القرن السابع الهجري وقام على انقاضها بنو مرين في مراكش ودولة بني عبد الواد في الجزائر وبنو حفص في تونس . ولما ولد ابن خلدون كان الضعف والمنازعات قد استولت على هؤلاء جميعهم . ثم زال بنو مرين ٨٢٣ هـ ( ١٤٢٠ م ) ، وانقرضت دولة بني عبد الواد ٧٣٧ هـ ( ١٣٣٧ م ) ثم تجددت مدة يسيرة بسببته في اواخر القرن الثامن . وعاشت دولة بني حفص مدة ولكن في ضعف ونزاع . ثم تفرق امراء المغرب كل امير منهم يقنع ببلدة يحكمها وما جاورها او يقنع بدون ذلك . واما الحروب والفتن فلم تكن تهدأ قط .

واما الشرق فلم يكن قد استفاق بعد من جراح الحروب الصليبية : كانت مصر وسورية والحجاز معها تنثن تحت حكم المماليك البرجية من كثرة الضرائب وقلة العمران ، وكان العراق مقسما بين امر تركية . ثم قام تيمورلنك على رأس جموع

من المغول فاستولى (١٣٩٣/٨٧٩٦ م) على بغداد وسائر ما بين النهرين وبسنى في تكريت هراً من الجمجم ، بعدئذ عصف على سورية (٨٠٤/١٤٠١ م) وزرع الهول والدمار والقتل في كل مكان .

واما اوروبة فكانت مشرفة على عهد من الاصلاح الاجتماعي والتنظيم السياسي والرقى الفكري .

### صوهر ترجمه

يلتمي ابن خلدون الى اسرة يمنية من عرب حضرموت في جنوبي بلاد العرب . وكان احد اجداده حجر آخر اقيال ( ملوك ) اليمن في الاغلب . وقد اعتنق ابنه وائل الاسلام ووفد على الرسول وروى عنه الحديث ، ثم سكن هو واعقابه في الكوفة ، وتوفي في خلافة معاوية . ثم ان احد اجداده الاقربين خالد بن الخطاب دخل الاندلس مع الفتح الاسلامي (٥٩٢-٧١١ م) . وقد سكن آل الخطاب اولاً في قرمونة ثم في اشبيلية وعرفوا هنالك باسم خلدون ( تصغير خالد ) . - ونحو ٦٢٥ هـ - ١٢٢٧ م اشتد خطر الاسبان على اشبيلية فهجروها قبل ان يستولي عليها فرديناند الثالث ملك قشتالة بعشرين عاملاً (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) فنزلوا سبتة (مرفأً مراكش على البحر المتوسط) . - ثم انتقل محمد جد فيلسوفنا الى تونس وولي الوزارة لابي حفص ثم لابنه المستنصر . وكذلك مال والد فيلسوفنا (واسمه محمد ايضاً) الى الشؤون العسكرية والادارية ، ولكنه عاد فشغف بالعلم واصبح ثقة في الفقه واللغة ، وقد توفي بالطاعون الجارف الذي ذهب فيه كثيرون من العلماء عام ٥٧٤٩ (١٣٤٩ م) .

اما ابن خلدون نفسه ( وهو ولي الدين ابو زيد عبد الرحمن محمد بن محمد ... بن خالد ابن الخطاب ) فقد ولد بتونس غرة رمضان ٧٣٢ ( ٢٧ ايار ١٣٣٢ ) . وتلقى على ابيه وعلى بعض علماء تونس او الواردين اليها القرآن العظيم حفظاً وتفسيراً والحديث والفقه واللغة والنحو وكثيراً من الشعر . وفي ٧٤٨ هـ ( ١٣٤٧ م )

كان قد استوفى اكثر علومه الدينية واللغوية . ثم توسع بعد ذلك فيما تعلمه وازداد من علوم المنطق والفلسفة شيئاً كثيراً . - وفي ٧٤٨ هـ التحق بمحاشية ابي الحسن سلطان مراکش . على ان اول عهده بمراتب الدولة فعلا كان ٧٥٢ هـ ( ١٣٥١ م ) فقد تولى « كتابة العلامة » ( ديوان الرسائل ) لابي محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس . ثم انه وصف لابي عنان صاحب فاس ، وكان يجمع العلماء في بلاطه ، فاستقدمه عام ٧٥٥ هـ ، وفي آخر ٧٥٦ هـ ، وآخر ١٣٥٥ م استقدمه . ولكن في السنة التالية وشي به لابي فارس فسجنه ، وبقي في السجن عامين كاملين . ولما مات ابو فارس في ٢٤ ذي الحجة ٧٥٩ ( تشرين الثاني ١٣٥٨ ) بادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كان ابن خلدون منهم . ولما فتح السلطان ابو سالم فاس واخرج منها بني مرين اصبح ابن خلدون لديه كاتباً للسر وللتوسل والانشاء ( نصف شعبان ٧٦٠ ، آب ١٣٥٩ ) ثم تولى له خطة المظالم . ولما استعاد بنو عبد الواد ملكهم في تلمسان اتصل بهم ابن خلدون ومدح ملكهم ابا حمو يوم الفطر ٧٦٣ ( تموز ١٣٦٢ ) ولكنه لم ينو البقاء لنفور سابق بينه وبينهم بل احب الرجوع الى بلده . ويظهر انهم منعه و ارادوا ابعاده عن المغرب .

وفي هذه الاثناء كان ابن خلدون قد تزوج ابنة القائد محمد بن الحكيم من قسطنطينة (شمالى الجزائر ) ، ولما استهلكت سنة ٧٦٤ هـ ( تشرين الاول ١٣٦٢ ) كان قد رزق منها اولاداً ثلاثة على الاقل .

ترك ابن خلدون بني عبد الواد في تلمسان في اول ٧٦٤ هـ الى الاندلس يقصد ابن الاحمر صاحب غرناطة ووزيره المشهور لسان الدين بن الخطيب فوصل اليها في ربيع الاول ٧٦٤ ( آخر ١٣٦٢ م ) فلقى هناك حفاوة بالغة . ثم ان ابن الاحمر ارسله سفيراً عام ٧٦٥ هـ ( ١٣٦٣ م ) الى الطاغية ملك قشتالة بطرة بن الهنشة بن ادفونش ( بطرس الرابع القاسي الذي خلف اياه الفونس الحادي عشر ١٣٥٠ ثم توفي ١٣٦٧ م ) لاتمام عقد الصلح بينه وبين ملوك العدوة ( افرقية الشمالية ) . ثم شعر بالانقباض من جانب ابن الخطيب فترك الاندلس في ١٩ جمادى الاولى ٧٦٦ ( اول ١٣٦٥ م ) فوصل في الشهر التالي الى المغرب وذهب الى بجاية لأن سلطانها ابا عبدالله كان قد

استولى عليها (رمضان ٧٥٥) واستدعى اليه ابن خلدون ليؤليه الحجابة (الوزارة).  
 وكثر الاضطراب في المغرب بين ٧٦٦ و ٧٧٦ هـ فسلم ابن خلدون تكاليف السياسة  
 فبجر المناصب وخرج الى قلعة ابن سلامة (شرقي تلمسان في شمالي الجزائر) ومكث  
 عند اولاد عريف نحو اربع سنوات من ٧٧٦ الى ٧٨٠ هـ (١٣٧٤ - ١٣٧٨ م).  
 وهناك بدأ بتأليف كتابه في التاريخ. ثم انه احتساج الى مواد لكتابه لم تكن  
 متيسرة لديه فرجع الى تونس. - وفي ٧٧٤ هـ (١٣٧٢ م) بداله ان يذهب الى  
 الحج، فلما وصل الى مصر عدل عن ذلك وتولى القضاء على المذهب المالكي (قاضي  
 القضاة) وجعل يلقي دروساً في الازهر. وفي ٨٨٩ هـ (١٣٨٧ م) حج وعاد الى  
 القاهرة وانقطع الى التدريس. ولكنه عاد الى القضاء عام ٨٠١ هـ (١٣٩٩ م).  
 ولما غزا تيمورلنك سورية ذهب الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برفوق الى  
 دمشق ليفاوض تيمور واصطحب معه العلماء وفيهم ابن خلدون. ثم سمع الناصر  
 فرج بموءامة عليه في مصر فاضطر الى العودة. فحمل ابن خلدون تبعه الحال  
 وذهب سرا على رأس وفد لمفاوضة تيمور في الصلح والقى خطبة نفيسة فاكرمه  
 تيمور عليها واعاده الى مصر. وتولى ابن خلدون القضاء بمصر بعد ذلك مراراً، ثم  
 وافاه اليقين بالقاهرة في ٢٥ رمضان ٨٠٨ هـ (١٥ آذار ١٤٠٦ م).

✍

كُتِبَ :

ذكر المؤرخون لابن خلدون كتباً مختلفة في الحساب والمنطق والتاريخ  
 وسوى ذلك، يهمننا منها كتابه المشهور في التاريخ « كتاب العبر وديوان المبتدأ  
 والحبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر »  
 وهو في ثمان (١) مجلدات كبار جداً... وقد عرف في آخره بنفسه واطال (نفع  
 الطيب ٤ : ١٧). ويهمننا من هذا الكتاب على الاخص الجزء الاول، الذي يعرف  
 بمقدمة ابن خلدون او « بالمقدمة » فحسب. واليك اقسام هذا الجزء الاول :

أ . الديباجة ( ص ٣ - ٩ ) - وفيها يذكر ابن خلدون انه طالع كتب المؤرخين فوجدها بعيدة عن التحقيق ، فوضع هذا الكتاب وجعله مشتملاً على البحث في العمران ثم على تاريخ العرب والمشرق ثم على تاريخ البربر والمغرب (٢) ب . المقدمة ( مقدمة الجزء الاول ص ٩ - ٣٥ ) - « في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من اسبابها » . ج . الكتاب الاول ( ص ٣٥ - ٥٨٨ وهي آخر الجزء الاول ) - « في طبيعة العمران ( الاجتماع البشري ) في الخليفة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل » - وهو ستة فصول :

١ : الفصل الاول - في الجغرافية الطبيعية والبشرية ( اثر البيئة في ابدان البشر واخلاقهم واحوالهم وما ينشأ من العمران ) ص ٣٥ - ١١٩ .

٢ : الفصل الثاني - في العمران البدوي ( وفيه موازنة بين اهل البدو واهل الحضر وذكر خصائصهم ثم فيه كلام على العصبية والتغلب والملك ) ص ١٢٠ - ١٥٣ .

٣ : الفصل الثالث - في الدولة ( كيف تقوم الدول وتتطور قوة ثم ضعفاً وما تحتاج اليه من المناصب ومن وسائل الدفاع في البر والبحر مع كلام مفصل في الضرائب والجباية ) ص ١٥٤ - ٣٤٢ .

٤ - الفصل الرابع - في العمران الحضري خاصة ( نشأة المدن وبناء الهياكل العظيمة ، ثم الرفاهية في المدن والجاه والصنائع ، ثم خراب الامصار حينما يكثر عمرانها او حينما تنقرض الدول القائمة فيها ) ص ٣٤٢ - ٣٨٠ .

٥ : الفصل الخامس - « في المعاش ووجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال ... » والكسب من وظائف الدول ومن الفلاحة والتجارة والصناعات كالبناء والتجارة والحياطة وصناعة التوليد وصناعة الغناء ) ص ٣٨٠ - ٤٢٩ .

٦ : الفصل السادس - « في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال » ص ٤٢٩ - ٥٨٨ .

٢ - هنالك فصول منسبة في الطبقات المتداولة بين ايدي الناس ولم اشر اليها هنا ( راجع دراسات عن ابن خلدون لساطع الحصري : ٥٧ - ٥٩ )

مقامه في تاريخ الفلسفة - خصائصه - كتبه

### مقامه في تاريخ الفلسفة

ليس ابن خلدون فيلسوفاً اجتماعياً فحسب ، بل هو « عالم اجتماعي وواضع علم الاجتماع » على أسسه الحديثة لم يسبقه الى ذلك أحد . ثم ان علماء الاجتماع الذي جاءوا بعده من الغربيين انفسهم كانوا دائماً مقصرين عنه في بعض النظريات الاجتماعية او غافلين تمام الغفلة عن عدد من قوانين العمران التي استخرجها هو في القرن الثامن الهجري ( الرابع عشر للميلاد ) . ولما أطل القرن التاسع عشر الميلادي واستبحر علم الاجتماع في اوروبة واميركة أدرك علماء العصر الحديث قيمة الآراء الصائبة وطرافة القوانين الشاملة وبعد النظر الثاقب في ما بسطه عبدالرحمن بن خلدون في مقدمته المشهورة : مقدمة ابن خلدون .

وليس يضر فيلسوفنا ما ذكره ( اوغست مولر ) من « ان مذهب ابن خلدون ينطبق على تاريخ اسبانيا وغربي افريقية وصقلية فيما بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلادي » ( ١ ) ، ذلك لان جميع المفكرين والفلاسفة والعلماء حينما جاءوا للدراسة نواحي الحياة الاجتماعية ، تقيدوا بما عرفوه في بيئتهم اما جهلاً منهم بالبيئات الاخرى - كما هي حال ابن خلدون - او استغراقاً في احوال البيئة التي ارادوا اصلاحها - كما هي حال ابن خلدون ايضاً - . أضف الى ذلك ان بعض قوانين ابن خلدون كانت تنطبق في الزمن المذكور على غير العالم الاسلامي ايضاً . ولا تزال تلك القوانين تصدق قليلا او كثيراً على بيئات عديدة في ازمنة مختلفة . وعلى هذا لا يكون ابن خلدون اول فيلسوف اجتماعي في العرب والمسلمين فحسب ولا هو من اكابر فلاسفة الاجتماع فقط ، بل هو اول علماء الاجتماع باطلاق واعظهم ادراكا لحقائق العمران الاولى في تاريخ الفكر الانساني اجمع .

Cf. Flint 171

١ - راجع ده بور ٢٠٧



وفما يتعلق بعلم فلسفة التاريخ خاصة فان الآداب العربية ، لما ازيتت باسم ابن خلدون ، ازيتت باسم من المنع الاسماء . فلا العالم القديم ولا العالم المسيحي في العصور الوسطى يستطيع ان يباهي بمن يقربه في الظهور . ان ابن خلدون - اذا نظرنا اليه على انه مؤرخ فقط - كان من ابرز اقرانه ، حتى بين المؤرخين العرب الذين عرفوا بتفوقهم في هذا الفن في العصر الذي نورخه . ولكننا اذا نظرنا اليه من الناحية النظرية في كتابة التاريخ ، فاننا لا نجد من نقرنه به في كل زمن ومكان حتى جاء فيقو بعده بثلاثة قرون كاملة . فلا افلاطون ولا ارسطو ولا ولا القديس اغوستينوس كانوا انداداً له ، وجميع من عسدا هؤلاء لا يستحقون ان يذكروا معه ذكراً . وكان الاعجاب به بالغاً لحسن ابتكاره وعظيم رصاته وعمق بحثه ولشمول ذلك البحث على السواء . على انه كان فوق كل ذلك نسيج وحده وعلماً مفرداً بين قومه ومعاصريه في ميدان الفلسفة التاريخية كما كان ذاتي في الشعر وروجر بايكون في العلم بين قوميهما (١) .

وبينما كان مؤرخو الغرب منذ ايام هيروdotus اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد الى القرون التاسع عشر بعد الميلاد قد غرقوا في رواية الحرافات وتعميل التاريخ على اساس السحر والتنجيم والاتسكالية والوثنية (٢) ، كان ابن خلدون يرفض ذلك كله . حتى انه لم يقبل اشياء وردت في بعض الكتب السماوية ( كالكلام على لون حام بن نوح ) مما سيورد من هذه الدراسة في موضعه . ونحن نلاحظ انه كتب فصلاً عن السحر (٣) ولكنه يؤرخ هذا الفن ويستعرض عناصره على ما يقول اصحابه ، ولكن يظهر جلياً انه لا يؤمن به . وابن خلدون فيلسوف صحيح في هذا الباب ، فانه امين في عرض آراء اصحاب المذاهب عرضاً يدل على فهم ايضاً . على انه لا يؤمن بكل ما يستعرضه ، وربما اعلن ذلك احياناً .

واذا لم يكن ابن خلدون مؤرخ الحضارة الاسلامية العربية فهو بلا منازع

١ - Cf. Flint 86.

٢ - دراسات عن ابن خلدون ١ : ١٩٠ وما بعدها

٣ - المقدمة ٤٩٦ - ٥٠٣

واضع تاريخ اسس تلك الحضارة وواضع الاسس التي يجب ان تقوم عليها كتابة التاريخ  
عموماً ان ابن خلدون قد ادرك خضوع حوادث التاريخ لعلل واسباب تنشأ عن  
« الاجتماع الانساني » بكل ما فيه من بيئة طبيعية ومن اقتصاد وسياسة ودين ،  
ثم بكل ما يتفرع منه من عصبية ونفسية وتنازع بين الافراد والجماعات . وبكلمة  
واحدة: ان التاريخ عند ابن خلدون هو « تطور العمران البشري والاجتماع الانساني  
على مر الزمن بكل ما يتصل بهما من الناحية العقلية والمادية والمعنوية » .

ومع ان سارطون (١) يقتصد في امتداح ابن خلدون كعالم اجتماعي فيجعله  
« احد » مؤسسي علم الاجتماع فقط ، فانه يطلق الكلام في مقامه في التأليف  
التاريخي . إنه مؤسس علم التاريخ ( او احد مؤسسيه ) اطلاقاً وانه اعظم مؤرخ لعلم  
التاريخ واعظم فلاسفة الاختبار الانساني لا في العصور الوسطى وحدها ، بل في  
الزمن الممتد بين ظهور كبار المؤرخين الاقدمين حتى ايام مكيا في ( ت ١٥٣٢ م )  
وبودان ( ت ١٥٧٦ م ) وفيكو ( ١٧٢٥ م ) . وهو لا يقل بوجه ما عن مكيا في .  
اما مقدمته فهي اعظم مؤلف في العصور الوسطى ، وهي توازي كتب « مصطلح  
التاريخ » في العصور الحديثة (٢) . ولم يؤرخ ابن خلدون الاجتماع فقط ، بل كان  
من الاوائل القليلين الذين أرخوا العلوم والمعارف الانسانية .

ويجعله روبرت فلينت (٣) اول كاتب عاليج التاريخ كموضوع معين من علم  
خاص . ومع ان ثمت خلافاً في الرأي ، كما يقول فلينت ، حول عده مؤسساً لعلم  
التاريخ ، فان القارىء البصير لمقدمة ابن خلدون لا يشك في ان ابن خلدون احق  
بهذا الشرف من جميع المؤلفين الذين سبقوا فيكو ( ت ١٧٢٥ م )

ولم يخطئ فون كريمر حينما عد ابن خلدون مؤرخاً فيلسوفاً ، ولا غالى  
ماكدونالد حينما جعله اول المؤرخين الفلاسفة واعظمتهم حتى القرن التاسع عشر للميلاد .  
وحسب ابن خلدون فخراً انه طوى في « علم العمران ( علم الاجتماع ) » جميع  
مظاهر الاجتماع الانساني على انها مظاهر نظام واحد شامل ولم يرها اقساماً

Cf. Sarton 3 1767, 1770, 1771 Cf. Flint 169-170 - ١

- ٢ - كتب مصطلح التاريخ هي الكتب التي تجمع قواعد التأليف التاريخي .

Flint 157, cf. 169 - ٣

مستقلة مرصوفة رصفاً عريضاً كما ظنها كثيرون من علماء الاجتماع حتى بعد ابن  
خلدون .

### خصائصه :

وابن خلدون فوق انه مؤرخ فيلسوف وعالم اجتماعي ، مفكر اديب عالم .  
ولقد امتاز بامور منها .

(١) سعة اطلاعه ، فانه طالع كتباً كثيرة مطالعة دقيقة مكنته من ان يجيل  
فيها ذاكرته الجبارة الواعية في كل حين فيلخص آراءها وينقدها ويبين قيمتها .  
ويدهشك وانت تطالع المقدمة ان ترى فيها معلومات ترجع الى كتب قد لا يحظر  
لك ان ابن خلدون قد قرأها بمثل هذا السحر .

(٢) حريته الفكرية في مطالعة الكتب على اختلاف نزعات اصحابها ، حتى  
انه ليثبت آراء لا يعتقد بها ولكنه يرى ان استعراضها في مقدمته واجب .  
(٣) مقدرته على استعراض الآراء ونقدها والتمييز بين صحيحها وفسادها  
بالاضافة الى اختباراته او الى قوانين المنطق .

(٤) شدة ملاحظته في اثناء المطالعة عموماً وفي ثنايا الحياة خاصة . وابن  
خلدون مدين بالقسط الاوفر من عبقريته الى هذه المقدرة التي استطاع بها ان يطالع  
على العوامل التي سيطرت على الحياة وان يرى مظاهر الحياة المتفحة او المختلفة وان  
يكشف مراتبها في النظام الاجتماعي الذي ابدعه .

(٥) قدرته على المقارنة والموازنة بين الملاحظات والآراء لاستخراج القوانين ،  
ثم جعل هذه القوانين شاملة ما امكن تصدق على قضايا كثيرة .

(٦) اختباره الواسع في الحياة السياسية والادارية في الدولة والقضاء ، وقد  
اكتسب اختباراً جديداً من كثرة اسفاره في الاندلس وفي افريقية الشمالية وفي  
مصر والحجاز وسورية . ولقد كان كتابه في التاريخ نتيجة جهود ملأت خمسين  
عاماً من المطالعة والملاحظة والاختبار .

(٧) ابن خلدون مفكر متزن لا يصدر احكاماً جارفة ولا يميل مع عاطفته او

هو ابل تراه يقيد استنتاجاته كلها « بما هو مشاهد في الاجتماع الانساني » او بما بلغه او عرفه او تضافت عليه الادلة . وابن خلدون بعيد عن الغرور مع انه يشعر انه اوجد فناً ، وان كان في الحقيقة قد اوجد فنين . ولا غرو فذلك من خصائص الرجل العالم .

والغالب على ابن خلدون انه لا يجب مفارقة مذهب السلف ، فهو « ظاهري » يرى ان في الالفاظ دلالة على المعاني الذهنية ، وبأخذ بظاهر الامور الدينية المتعلقة بالمقائد وبالعبادات ، ويعتقد ان العقل البشري قاصر عن ادراك حقائق هذا العالم ، الطبيعية منها والالهية ، وانما المعول في ذلك على « الشرع » مما جاء به القرآن الكريم او روي عن الرسول ، او « بالتعرض لرحمة الله ومواهبه » . وهو في ذلك يشبه ابن حزم الظاهري ( ت ٤٥٦ هـ ، ١٠٦٤ م ) . على انه اذا بحث في « العمران » فتعرض للبيئة الطبيعية او للبيئة الاجتماعية ولكل ما اتصل بهما ، ماديا كان او معنويا ، ولكل ما يعرض فيهما ، كان كل اعتماده على العقل وعلى الاقيسة المنطقية « وطبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار » فابن خلدون اذن « ظاهري النحلة والمذهب الفلسفي » فيما يتعلق بالالهيات كالروح والبعث وحقيقة الوجود مما قطع الفلاسفة انفسهم بان ادراكها خارج عن نطاق الاختبار الانساني وغير خاضع اجيباً للبراهين والاقيسة التي تصدق على العالم المحيط بنا . اما فيما عدا ذلك فهو « فيلسوف عقلي طبيعي واقعي » يعتقد ان الامور الجارية في عالمنا المادي والاجتماعي والنفساني تخضع لنواميس معينة وتجري على نظام مخصوص ، ثم انها تتكرر كلما تهيأت لها الاسباب التي عملت على ظهورها من قبل . وهو يرى ايضاً ان هذه « الحوادث » يستحيل ان تجري على خلاف ذلك ، لانها جزء من النظام الشامل الذي يسيطر على العمران البشري والاجتماع الانساني .

واسلوب ابن خلدون في عرض آرائه غني واضح متين عليه طلاوة تفري متابعة المظالعة . وانما اذا استثنينا الديباجة المزدهجة بانواع الصناعة المعنوية

واللفظية والمبنية على اسجاع متوالية ، يظهر على بعضها شيء من التكلف ، وجدنا ان هذا الاسلوب يجري على السجبة ويقصد الى ابراز المعاني والآراء في صورها الحقيقية . وقد يضحى ابن خلدون احياناً شيئاً من السبك اللغوي في سبيل المحافظة على روح المعنى وعلى منطق البحث ووضوح الغاية . وابن خلدون حريص على ان يحتتم كل فصول المقدمة بآية كريمة او بجزء او اكثر من آي القرآن الكريم او بالاقْتباس منها ، على ان تكون موافقة للبحث المعالج في ذلك الفضل . وربما رجع الفصل الواحد بآيتين او اكثر فيجعل احدهما حتماً في ختامه ، وينثر ما بقي عند الفراغ من كل فكرة مستقلة يعالجها في ذلك الفصل ( سوى الآيات الكريمة التي تكون موضع استشهاد مقصود ) .

والاسلوب ابن خلدون من الاساليب المثقفة التي تقيّد ذوقاً لغوياً وذوقاً ادبياً ومقدرة على معالجة الموضوعات العقلية والبحوث الاجتماعية والادبية ، وهو من هذه الناحية اعمق من اسلوب ابن المقفع واشمل من اسلوب الجاحظ .

ولابن خلدون استعمال لغوية خاصة لا يمكن ان نجعلها هنا موضوع درس ، ولكن لا بد من التنبيه على بعضها لانها تتعلق بفهم فلسفة ابن خلدون تعلقاً وثيقاً . من ذلك انه يستعمل كلمة « عرب » بمعنى « البدو او الاعراب = سكان البادية » (١) . و احياناً يوسع استعمال كلمة « بدو » حتى تتناول اهل الريف من الفلاحين ، على اعتبار ان « البدو » خلاف « الحضرة » بمعنى البادية وهي صيغة صحيحة نطق بها القرآن . ويستعمل « التوحش » للسكنى في مكان بعيد عن المدن ولا يقصد به ما قد تنصرف اليه بعض الاذهان من « الوحشية في الطبع » وكذلك يطلق كلمة « العمران » على ما نسميه نحن اليوم « الاجتماع » ؛ فعلم العمران عند ابن خلدون هو علم الاجتماع عندنا نحن .

(١) دراسات عن ابن خلدون ١ : ١٠٧ وما بعدها . وقد اخطأ اكثر الدارسين فهم كلمة « الاعراب » وجعلوها مرادفة للعرب ، راجع :

## ابن خلدون

آراؤه في المقدمة — طرائف من آرائه واسلوبه

### تحليل آرائه في المقدمة

مقدمة ابن خلدون غنية بالآراء الطبيعية والاجتماعية والنفسية واللغوية والادبية، ولكن هذه الآراء تنقسم قسمين واضحين تمام الوضوح :

أ — الآراء المستعرضة : اي آراء العلماء والفلاسفة التي استعرضها ابن خلدون ونقدتها فقبلها او رفضها . وهذه هي الآراء المتعلقة بالعلوم الطبيعية او بالفلسفة العقلية على العموم . وهي مهمة لفهم ما كانت العلوم والفلسفة قد بلغت اليه حتى عصر ابن خلدون ، ثم لتبين صورة البيئة العلمية والعقلية في عصر ابن خلدون نفسه .  
ب — الآراء الاصلية : اي الآراء التي كتب ابن خلدون مقدمته من اجلها . وهذه هي الآراء الاجتماعية باوسع معانيها .

ومع ان المقصود من دراسة مقدمة ابن خلدون انما هو الآراء الاجتماعية الاصلية فاننا نحسن صنعاً اذا ألمنا بآرائه المستعرضة لانها تكشف لنا ايضاً عن شيء من ميله الفلسفي .

### أ. الآراء المستعرضة

عرض ابن خلدون في اول مقدمته (ص ٤٤-١٥) للجغرافية الوصفية كما قد تبين في كتب الحكماء الناظرين في احوال العالم . هذه الآراء نجد مثلها عند جغرافيين العرب او عند اخوان الصفا او في قصة حي بن يقظان . ثم عرض « لاختلاف الامة في الخلافة ولشروطها ( ١٩٠-٢٠٢-٢١٠ ) ولناصب الدولة الدينية والسياسية والادارية كالقضاء والوزارة ودبوان الرسائل ودبوان الجباية والسكة ( العملة )

... ( ص ٢١٨-٢٧٩ ) ، « ولهدي » ، وما يذهب اليه الناس في شأنه ولابتداء الدول وللملاحم وللاجفر ( ص ٣١١-٣٤٢ ) . وعرض في الفصل السادس ( ص ٤٢٩ وما بعدها ) للعلم والتعليم ، فاستعرض تطور العلوم الاسلامية الشرعية ك تفسير القرآن وكالحديث والفقه وعلم الكلام والتصوف والعلوم العقلية والطبيعية كالحساب والهندسة والفلك والمنطق والطبيعات والالهيات والكيمياء والفلسفة خاصة ثم الطب والفلاحة والسحر والتنجيم ( ص ٤٣٧-٥٣١ ) .

على ان هذه الفصول لم تخل من ملاحظات شخصية قيمة او من نقد صحيح او من آراء اصيلة كل الاصلة . ولكننا لن نتكلم عليها هنا لانها ستورد حتما في تحليل « آرائه الاصلة » . ويجب ان نعلم ان « ادراك » ابن خلدون الحاجة الى هذه الآراء المستعرضة في تأليف التاريخ او المعرفة به يدل على عبقريته وعلى اتجاهه العلمي الصحيح كما تدل عليهما آراؤه الاصلة سواء بسواء . وخصوصا لانه كان يتخير منها وينقد بعضها ويرد بعضا .

### ب. آراؤه الاصلة

لما اختمرت في رأس ابن خلدون فكرة تأليف كتاب في التاريخ - او حينما بدأ فعلاً بتأليف الكتاب وسار فيه شوطاً - ادرك ان من اراد تفهم التاريخ يجب ان يكون عارفاً بالعلل والاسباب مطعماً على احوال البشر لما يعلم مختلفه . ويظهر ان هذه الفكرة كانت بجميع تفاصيلها مختمرة في رأسه ايضاً فكتب المقدمة وأتمها « بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهديب في مدة خمسة اشهر . . » ونسق فيها آراءه وكشف عن وجهة نظره فكان من نتائج ذلك « وضع علم الاجتماع وتاريخ الحضارة الاسلامية وبناء علم التاريخ على اسسه الصحيحة » .

### ١ - التاريخ علم من علوم الفلسفة موضوعه الاجتماع الانساني

يقول ابن خلدون : ان التاريخ « في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول ... تنمو فيه الاقوال ، وتضرب فيه الامثال ، وتطرف به الاندية اذا

غصها الاحتفال ، ... ولكنه « في باطنه نظر وتحقيق ، وتعديل للكائنات ومبادئها  
 دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ، فهو لذلك اصيل في الحكمة عريق  
 وجدير ان يمد في علومها وخليق ( ص ٣-٤ ) . وينتقد ابن خلدون اكثر  
 المؤرخين لانهم يقلدون من سبقهم أو يقصرون كتبهم على سرد اسماء الملوك واعمالهم  
 ويرددون اخباراً مدخولة لا يصدقها العقل بل يقوم على فسادها البرهان ، فوضع  
 كتابه ووصفه بقوله : « فانشأت في التاريخ كتابا ... ابديت فيه لاولية الدول  
 والعمران عللا واسبابا ... وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكا غربيا ، واخترته من  
 بين المناحي مذهبا عجيبا ، وطريقة مبتدعة واسلوبا . وشرحت فيه من احوال  
 العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتنع  
 بعقل الكوائن واسبابها .. فهو ( اي التاريخ ) محتاج الى مأخذ متعددة ومعارف  
 متنوعة وحسن نظر وثبت يفضيان بصاحبها الى الحق وينكبان به عن المنزلات  
 والمغالط ، لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم اصول العادة  
 وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني ، ولا قيس الغائب  
 بالشاهد والحاضر بالذاهب فرما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة  
 الصدق .. فالماضي اشبه بالآتي من الماء بالماء » . ثم ان على المؤرخ الا يذهل « عن  
 تبدل الاحوال والامم والاجيال بتبدل الاعصار ومرور الايام .. اذ لا يقع الا بعد  
 احقاب متطاولة .. وذلك ان احوال العالم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة  
 واحدة ومنهاج مستقر ، انما هو اختلاف على الايام والازمنة وانتقال من حال الى  
 حال . وكما يكون ذلك في الاشخاص والاقوات والامصار ، فكذلك يقع في  
 الآفاق والاقطار والازمنة والدول » . وهذا التبدل يقع بالتدريج لانه نتيجة  
 محاكاة الانسان لغيره وحب اهل الملك الحاضر في مخالفة اهل الملك السابق  
 ( ص ٥ ، ٦ ، ٩ ، ١٠ ، ٢٨ ، ٢٩ ) .

ولذلك « كانت حقيقة التأريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران  
 العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتأنس  
 والعصيان واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك



والدول ومراتبها، وما ينتج له البشر باعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الاحوال. ولما كان الكذب منطوقاً للخبر بطبيعته، وله اسباب تقتضيه منها التشيعات الآراء والمذاهب... والثقة بالناقلين... والذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب... ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الوقائع... ومنها تقرب الناس في الأكثر لاصحاب التجارة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال (ص ٣٥، راجع ٣٦ - ٤١).

## ٢ - العمران هو سكنى البشر في مكان ما

العمران عند ابن خلدون هو الاجتماع الانساني نفسه، على ان مطالعة المقدمة بانعام نظر يدل على فرق بينها مالموح، ذلك ان «العمران» راجع في الاكثر الى صلة البشر بالارض المعمورة (بالبيئة الطبيعية)؛ واما «الاجتماع» فراجع في طبيعته الى صلة البشر الساكنين في مكان واحد او امكنة متفرقة بعضهم ببعض (البيئة الاجتماعية) والى ما يحتاجون اليه من الصنائع والقوانين والمعاملات التي تمكنهم في الدرجة الاولى من التغلب على مصاعب البيئة الطبيعية؛ وفي الدرجة الثانية من توفير الراحة والتوف.

وبعض اقاليم الارض اكثر موافقة للسكنى من بعضها الآخر. والبلاد المعتدلة اكثر عمراناً من البلاد المفرطة في الحر والبرد. ثم ان اهل الاقليم الرابع (المعتدل) اعدل اجساماً والواناً واخلاقاً وادياناً. واذا افترط الحر في البلاد اسود جلد اهلها وغلبت عليهم الخفة والطيش وكثرة الطرب فتجدهم مولعين بالرقص على كل توفيق موصوفين بالحق. اما سكان البلاد الباردة فيغلب عليهم الاطراق الى حد الحزن، ثم التفكير في العواقب حتى ليدخر احدهم قوت سنتين متواليتين. واذا اتفق لن انتقل احد من اقليم الى اقليم تبديت الزمان اعقابه واجسامهم واخلاقهم مع الزمن حسب مناخ الاقليم الجديد. ثم ان الاقوات تختلف باختلاف الاقاليم وتترك اثرها في الناس، فان الافراط في الحطب والنعيم والاطعمة الغليظة

يورث قلة المناعة في الجسم ويورث البلادة والغفلة وانكشاف الالوان وقبح الاشكال ، كما ان الجوع المفرط ينهك الجسم والعقل . على ان البلاد المجذبة اقدر على احتمال المجاعات .

٣ - الاجتماع نوعان : بدوي وحضري ؛ والاول سابق عن الثاني

ضرورة ومادة له ، وكلاهما ضروري

ان اختلاف الاجيال في احوالهم انما هو باختلاف نحلتهن من المعاش ، فان اجتماعهم انما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي . فمنهم من ينتحل الزراعة ، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان ... وهؤلاء ... ينزلون البدو لأنه متسع لما لا تتسع له الحواضر من المزارع والمسارح للحيوان . وهذا الجيل ( او الدور ) ضروري في الامم كلها وخصوصاً في العرب ، وهو الاصل في العمران كاه .

واهل البدو اقرب في طباعهم الى الخيبر لانهم اقرب الى الفطرة وابتعد « من فنون الملاذ وعوائد الترف والاقبال على الدنيا والعكوف على شهواتهم » ، ثم هم اقرب الى الشجاعة لانهم اكثر حاجة الى اليقظة والقوة واستعمال السلاح لحراسة انفسهم واموالهم من الحيوان المفترس ومن العدو المتغير ، يعتمدون في ذلك على انفسهم فقط . بينما الحضرة قد استناموا الى الاسوار التي تحوطهم والى الحامية التي تحرسهم وتعودوا الخضوع للحاكم والغالب . وهكذا لانكون سكنى البدو ( يعني السكنى في البادية ) الا للقبائل اهل العصبية .

#### العصبية

والعصبية هي « الثعرة على ذوي القربى واهل الارحام ان ينالهم ضم او تصيبهم هلكة » . وتكون العصبية في النسب الواضح وفي من صاهرهم او انتسب اليهم بالولاء او الحلف . وانهم في ذلك هو الشعور بالصلة بين افراد الاسرة الواحدة « اذ النسب امر وهمي لا حقيقة له ، ونفعه انما هو في هذه الوصلة والالتحام » والمباصرة .

والانساب يقع فيها الاختلاط بالمصاهرة وبالولاء وبالتحالف وبالاسترقاق وحينما ينقل رجل ضعيف نسبه الى قبيلة معينة . على « ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين ( البعيدين عن الحضرة ) في القفر من العرب ( البدو ) ومن هم في معناهم » كالبربر والزنج . ثم ان العصبية الكبرى تضم عصاب صغرى ! وما دام هنالك في العصاب الملتحمة عصبية واحدة فقط معترف لها بالشرف والتقدم والمنعة ، فالرئاسة على سائر العصاب فيها حتما . فاذا ضعفت العصبية التي فيها الرئاسة نازعتها سائر العصاب ، ثم حازت الرئاسة اقوى العصاب من بينها كلها .

والعصبية تنتج جاهماً وسلطاناً وشرفاً ، ولكن هذه تستمر عموماً اربعة اجيال فقط ، فان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة آباء ، وذلك ان بابي المجد عالم بما عاناه من بنائه ومحافظ على الخلال التي هي اسباب كونه وبقائه . وابنه من بعده مباشر لابيه فقد سمع منه ذلك واخذه عنه ، الا انه مقصر في ذلك تقصير السامع بالشيء عن المعاني له . ثم اذا جاء الثالث كان حظه ... التقليد فقصر عن الثاني ... ثم اذا جاء الرابع قصر عن طريقهم جملة واضاع الخلال الحافظة لبناء مجدهم « فيتهاون في الامر وتذهب عنه حقيقة المجد ويضعف ، فيثب عليه من هو اقوى عصبية . فاذا ذهبت الرئاسة من عصبية قل ان ترجع اليها .

والامم الوحشية اقدر على التغلب على سواها « اذا تقاربا ( الحصان ) في العدد وتكافأ في القوة العصبية » وذلك لمكان شجاعتها وقوتها ، ويكون ملكها عادة اوسع . ولكنها « بعيدة عن سياسة الملك ، فاذا استولت على اوطان اسرع الخراب اليها والفناء الى اهلها » .

٤ - الاجتماع الحضري يتطور من الاجتماع البدوي ، وفيه

يستبحر العمران وتزدهر الحضارة وتنشأ الدولة

اذا كان لامرئ سؤدد وكان قومه يتبعونه طوعاً فذلك هو « الرئاسة بالعصبية » اما اذا احتاج الى التغلب عليهم وقهرهم حتى يحملهم على طاعته فذلك هو « الملك » .

وكل عصبية فانما غايتها الملك لطمع اصحاب الرئاسة بما فوق الرئاسة ، وحب بعض التابعين منازعة الرؤساء .

وإذا بلغ اهل العصبية الى التغلب والقهر وامنوا المنافسة والانتقاص مالوا الى الدعة واستعدبوا الرفاهية وتوفعوا عن معاناة الامور بانفسهم واضطروا الى اصطناع الافراد والاسر والانقياد اليهم ايضاً واستغنوا عن عصبيتهم الاولى . فاذا فعلوا ذلك اقبلت الدولة على الهرم .

ورأى ابن خلدون ان كل تغلب لا يمكن ان يقوم الا على عصبية قوية . وان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية ، ولكن الدعوة الدينية نفسها لا تتم بلا عصبية . وابن خلدون مؤمن بالقيمة العديدة للشعوب فهو يرى ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها ( انما هو ) على نسبة القائم بها في القلة والكثرة ( ومع ذلك فان ) كل دولة لها حصّة من الممالك والاطان لا تزيد عليها . ( وكذلك ) ... الاطان الكثيرة القبائل والعصبيات قل ان تستحكم فيها دولة ، والسبب في ذلك اختلاف الآراء والاهواء ، وان وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها ، فيكثر الانتقاص على الدولة والخروج عليها في كل وقت . اصف الى ذلك كله ان للدول عمراً طبيعياً كما للاشخاص ، وهو ايضاً اربعة اجيال كما مر . وبقعود ابن خلدون فيرى انه « اذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الاحوال . والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني ... فصار طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة ، لضرورة تبعية الرفه للملك . كما اهل الدول ابدأ يقلدون في طور الحضارة واحوالها الدولة السابقة ... على ان هذا الترف يزيد الدولة في اولها قوة اذ يكثر في اهلها التناسل وتعظم آثارها من بناء المدن والهيكل وتشجيع العلم . ولكن هذه نفسها تصبح بعدئذ عبئاً على عاتق الدولة ونخبهشش القائمون على الملك اهل عصبيتهم فيلجأون الى اصطناع الموالي من الغرباء لأن هؤلاء يكونون في اول امرهم اكثر خضوعاً واشد طاعة لولي نعمتهم . ولكنهم اذا كثر عددهم وقوي امرهم عادوا وبالاعلى الملك من جديد ، وربما استبدوا بامرهم وحجروا عليه وسيروا

الامور على احوالهم فسكانوا هم اهل الملك على الحقيقة وهو الملك على المجاز .  
 ويعود ابن خلدون ثلاثة الى تبيان حقيقة الملك فيرى ان كل اجتماع انساني  
 بحاجة الى وازع او حاكم يقيم العدل ويدفع الناس بعضهم عن بعض « وانما الملك  
 على الحقيقة لمن يستبعد الرعية ويجبي الاموال ويبعث البعث ( يحارب العدو )  
 ويجبي الثغور ( الحدود التي يخشى منها مجيء العدو براً او بحراً ) ولا تكون فوق  
 يده يدقاهرة . ومصنحة الرعية في السلطان ليست في ذاته وجسمه وحسن شكله او ملاحظة  
 وجهه او عظم جثثانه ! او اتساع علمه .. وانما مصلحتهم « ان يكون ملكه عليهم  
 صالحاً جميلاً » فان الملك اذا كان قاهراً باطشاً بالعقوبات منقبا عن عورات الناس  
 وتعدد ذنوبهم شملهم الخوف والذل ولاذوا منه بالكذب والمكر والخديعة فتخلقوا  
 بها وفسدت بصائرهم وربما خذلوه في مواطن الحروب .. وربما اجمعوا على قتله .. »  
 وللدولة خمسة اطوار في الغالب ( وهي في الحقيقة اربعة ) :

(أ) طور الظفر بالبغية الى التغلب ونيل الملك .

(ب) طور الاستبداد والانفراد بالملك ومدافعة المنافسين .

(ج) طور الفراغ والدعة لتحصيل ثمرات الملك بعد ان امن الملك من افسه  
 خصومه وضمن خضوع رعيته .

(د) طور القنوع بما يملك والمسالمة للاعداء والحصوم والتقليد في الحكم لمن  
 سبقه . وهو بدء الضعف .

(هـ) طور الاسراف والتبذير والانصراف الى الشهوات واعطناع بطانة السوء  
 والغفلة عن امور المملكة ، فيقعده قومه وكبار رعيته عن نصرته ويخقدون عليه فيفسد  
 جنده وجبايته ويختل امره ويزول ملكه .

ثم يعود ابن خلدون الى الكلام على الخلافة خاصة فيرى ان العرب « اصعب  
 الامم انقياداً بعضهم لبعض للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فقلما  
 تجتمع احوالهم » ، فلا يحصل الملك فيهم الا بصيغة دينية « وهم اسرع الناس قبولاً  
 للحق والهدى لسلامة طباعهم » . والملك عند العرب ( في الاسلام ) هو الخلافة او  
 الامامة ، وهي النيابة عن صاحب الشرع ( الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ) في

امور الدين وامور الدنيا معا . وقد اختلف المسلمون بعدموت الرسول على شروط  
تولي الخلافة فنشأ ثلاث نظريات كبرى :

(أ) رأي اهل السنة - يرى اهل السنة ان الخلافة منصب وأجب ، اما الخليفة  
فانه ينتخب انتخابا . ويشترط في الخليفة نفسه خمسة شروط :

(١) ان يكون عالما بالامور الدينية لمعرفة تطبيقها والعمل بها .

(٢) العدل ، وذلك بان في الدولة مناصب تقتضي العدل كالتضاء مثلا، وبما ان  
الخليفة رأس الدولة فاشترط العدل فيه ضروري .

(٣) الكفاية وذلك بان يكون جريئا على اقامة الحدود ( تنفيذ الاحكام  
والعقوبات ) واقتحام الحروب بصيرا بها . وعارفا بالعصية واحوال الدهاء قويا  
على معاناة السياسة .

(٤) سلامة الحواس والاعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى .. وفقد  
اليدين والرجلين . وقد اختلف اهل السنة في شرط خامس وهو هل يجب ان يكون  
الخليفة من قريش ؟ - وابن خلدون يرى رأي اهل السنة ويرى وجوبها في قريش  
اذا كانت العصية في قريش ، والا فليس للنسب القرشي قيمة .

(ب) رأي الخوارج وبعض المعتزلة - ويرى هؤلاء ان الخلافة غير واجبة لأن  
الغاية منها اقامة الحدود وانفاذ الحكم ، فاذا تواطأ الناس على ذلك لم يبق ثمة حاجة  
الى الخليفة - وابن خلدون لا يرد هذا الرأي .

(ج) رأي الشيعة - يرى الشيعة الامامة واجبة ، وانها بالوراثة في ابناء علي  
كرم الله وجهه .

ثم يرى ابن خلدون ان الخلافة نفسها تنقلب الى ملك .  
ثم يعود ابن خلدون الى « الجباية » وهي المال الذي تأخذه الدولة من الرعية .  
فيذكر « ان الجباية تكون في اول الدولة قليلة الوزائع كثيرة الجمل ، وفي آخر  
الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجمل » . وذلك لأن الدولة في اول امرها تكون  
بدوية فيكون مقدار ما يؤخذ من الضرائب قليلا . وقد تغفل الدولة البدوية عن  
جمع الضرائب ايضاً . ولذلك يكثر العمران ، وبكثرة العمران يزيد عدد الوزائع

فيكثر مجموع الجباية . ولكن اذا اشرفت الدولة على الحضارة تكثر شهورات اهلها وعدد رجالها فتحتمل حينئذ الى اموال كثيرة فتلجأ الى الشدة في جمع الجباية والى زيادة مقدارها فينكمش الناس عن البناء وعن النشاط فتقل جملة الجباية . حينئذ يلجأ اهل الدولة الى زيادة الضرائب زيادة عظيمة والى ايجاد انواع جديدة منها . وقد تضعف الدولة وتقص عن جمع الجبايات من الاصقاع النائية « فيستحدث صاحب الدولة انواعاً من الجباية يضربها على البياعات ويفرض لها مقداراً معلوماً على الاثان في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال المدينة ... فتكسد الاسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران . وهذا يدعو الى نقص الجباية نقصاً كبيراً فيلجأ السلطان ( الدولة ) الى الزراعة والتجارة وهذا مضر بالرعايا وبالجباية ، وذلك لأن الدولة تملك رأسمال كبيراً اذا نسب الى رؤوس اموال الافراد . » ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك اذا تعرض له غضباً او بايسر ثمن او لا يجد من يناقشه في شرائه فيبخس ثمنه على بائعه . ثم اذا حصل فوائد الزراعة ... من حرير او عسل او سكر ... يكلفون اهل تلك الاصناف ... بشراء تلك البضائع ولا يرضون باثمانها الا القيم وازيد ... وقد ينتهي الحال ... انهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاءون ويبيعونها في وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن . وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم .

##### ٥ - الاحوال العارضة في الاجتماع الحضري : المدن واليهياكل خاصة

ان الملك يدعو الى نزول الامصار ( المدن ) طلباً للدعة والسكون وحباً بالترف . وقد تدفع الحاجة الى التعاون وكثرة الايدي العاملة الى ان يسوق اهل الملك الناس الى نزول الامصار ليتخذوها حصوناً اذا نازعهم منازع او هاجمهم مهاجم « ومغالبه الامصار على نهاية من الصعوبة والمشقة . والمصري يقوم مقام العساكر المتعددة لما فيه من الامتناع ونكالية الحرب من وراء الجدران من غير حاجة الى كثير عدد ولا عظيم شوكة » . ثم ان المدن العظيمة يبنها اهل الملك العظيم

بما يجشدها من الفعلة مع الاستعانة بالهندام ( قواعد الهندسة والحيل =  
 الميكانيك . ويجب ان تراعى ارضاع المدن من الناحية الصحية والزراعية والتجارية  
 والعسكرية . وكلها كان عدد اهل مصر اكثر كان مصر نفسه افضل .  
 ونزول الامصار يدعو الى الاعتماد من بناء الدور وانشاء البساتين، ولكن البناء  
 لا يفعل كثيراً . واذا ضعفت الدولة وخيف على مصر من العدو اصبحت الابنية  
 والاراضي فيه بخسة الثمن . وصاحب الاملاك في مصر محتاج الى جباه وعصبية  
 يدفع اعتداء الآخرين عن املاكه ويدافع طمع السلطان بها او بفرض الجباية  
 الكثيرة عليها . وتمتاز المدن بصناعات فتسكاد تختص كل منها بصناعة دون غيرها .  
 ثم ان كثرة التوف وكثرة العوائد يمنعان البدوي من سكنها لبعجزه عن الانفاق  
 الذي تستلزمه الحضارة المستبحرة . ثم ان الحضارة تتسع كلما تقدم الزمن على مصر  
 وكانت الدولة التي مصرته راسخة القدم في السلطان والغلبة . فاذا انقرضت الدولة  
 انقرض معها مصر الذي اقامته لنفسها او قام من اجلها . ويعمل ابن خلدون  
 خراب الامصار بان لها اعماراً وان من دلائل خراب الامصار كثرة الحضارة فيها  
 وكثرة الحاجات الكمالية التي تصبح كلها مع العادة ضرورية فيصرف السكان في  
 النفقات حتى يعجزون عن الضروري من حاجاتهم ويحدث الغلاء وتكسد الاسواق  
 فتقل الجباية . اضع الى ذلك الى الحياة في المدن مضره بالنسل والخلق والبدن .  
 ومن اطرف آراء ابن خلدون واصوبها قوله ان المدينة اذا كثرت سكانها رخصت  
 اسعار الضروري من القوت وغلا سعر الكمالي، وان قل سكانها كان الامر بالعكس .  
 فان العمران اذا استبحر كثر الطلب على الامور الكمالية وقصر الموجود منها عن  
 الحاجة فيبذل اهل الرفه والتوف اثمانها باسراف فتغلو . وكذلك ترتفع اجور  
 العمال الى اكثر من قيمة اعمالهم . ثم ان الاسعار في المدن اغلى من الاسعار في  
 البادية لكثرة المكوس والمغارم في المدن وخصوصا في اخر الدولة .

## ٦ - وجود الكسب والمعاش في الحضرة

اساس الكسب عند ابن خلدون « العمل الانساني ... ، اذ تبين ان المفادات



والمكتسبات كلها او اكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية . ووجوه المعاش كثيرة « اما ان يكون باخذه من يد الغير وانتزاعه بالاقتدار على قانون متعارف ويسمى مغرماً او جباية ، واما يكون من الوحشي باقتراسه واخذه برميته من البهر والبحر ويسمى اضطياداً . واما ان يكون من الحيوان الداجن ، باستخراج فضوله المتصرفه بين الناس في منافعهم كاللبن ... والحزير ... والعسل ، او ان يكون من النبات ... واما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية من صناعة او تجارة او خدمة . والخدمة هي القيام باعمال يترفع عنها اصحابها فيستخدمون غيرهم فيها بأجر » وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولة الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ... وهي تدل على العجز والحث الذي ينبغي في مذاهب الرجولية التنزه عنها ، الا ان ذلك من نتائج التمتع والترف . وكذلك السعي للحصول على الاموال من الكنوز ( الموهومة ) ليس من الطبيعي .

والظاهر ان الجاه مفيد للمال لأن الناس عادة يتقربون من صاحب الجاه ( الديني او الاجتماعي او التجاري ) ويتقنون به ويعاملونه . على ان الذي لا شك فيه ان « الكسب الكثير لا يحصل الا لأهل الخضوع والتعلق ... ولذلك نجد الكثير ممن يتخلق بالترف والشم لا يحصل لهم عرض الجاه فيقتصرون في التكسب على اعمالهم ويصيرون الى الفقر والحُصاصة ... » ثم ان « قيمة الاعمال متفاوتة بحسب الحاجة اليها ، فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران عامة البلوى كانت قيمتها اعظم وكانت الحاجة اليها اشد . » ولذلك رأينا « ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب » .

ويعرض ابن خلدون خمسة وجوه من الكسب يعدها طبيعية في البشر :

(أ) الفلاحة « وهي اقدم الصنائع لما انها محصلة للقوت المكمل للحياة . الانسان ... واختصت هذه الصناعة بالبدو اذ انه اقدم من الحضر وسابق عليه . والفلاحة معاش المتضعين واهل العافية من البدو ولذلك لا يتحمله احد من

الحضر في الغالب ولا من المتوفين .

(ب) التجارة وهي محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ... وذلك القدر النامي يسمى ربحاً . فالحاول لذلك الربح اما ان يحتزن السلعة ويتحين بها حوالة الاسواق من الرخص الى الغلاء فيعظم ربحه ، واما بان ينقله الى بلد تنفق فيه تلك السلعة . وبما ان الربح يكون قليلاً بالنسبة الى رأس المال فيجب ان يكون رأس المال كبيراً حتى يتجمع منه ربح كبير . ثم ان رأس المال والربح يذهب منها شيء كثير بالغش والتطفيف والمطل وبنسكار الدين قد يذهب بماله التاجر كله الا اذا كان التاجر « جريئاً على الحصومة بصيراً بالحسابان شديد المماحكة مقدماً على الحكام ، « والا صار » مأكاة للباعة لان الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعة انهم شرهون الى ما في ايدي الناس سراهم متوثبون عليه . ولذلك كانت « خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف او الملوك والرؤساء بعيدة عن المروءة ، لأن التاجر محتاج الى المكايسة والمماحكة والغش وتعاهد الايمان الكاذبة على الاثمان « الا النادر و اقل من النادر . ومع ان التاجر قد يتظاهر بهذه الصفات الذميمة جرأً للكسب فقط ، فانها تصبح مع الزمان خلقاً راسخة في نفسه .

ويرى ابن خلدون ان رخص الاسعار يرجع بالضرر على التجار وعلى العمران نفسه كإغلاء المفرط . وذلك لأن السعر اذا رخص كثيراً فسد حال التجار وانصرفوا عن الاستغال بالصنف الرخيص وبناتجاهه . وانما يحمد الرخص في الزرع لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات .

(ج) الصناعة - الصناعة ملكة في امر عملي فكري معا يقتضي مباشرة جسمانية للعمل وتعلماً عقلياً للصناعة ويحتاج في تعلمه الى زمن حسب بساطة الصناعة او تعقدها . والصنائع الراقية من مقتضيات الحضر ، و رقيها تابع لاتساع العمران وقدمه ورسوخه . ويعتقد ابن خلدون ان الانسان الذي يجيد صناعة فل ان يحكم صناعة غيرها . ثم ان الصنائع ترقى وتكثر اذا كان الطلب عليها كثيراً لأنها تصبح

حينئذ بمثابة السلعة . ويزيد ابن خلدون فوق هذا ان العرب ( البدو ) ابعد الناس عن الصنائع .

ومن امهات الصنائع العملية الفلاحة والبناء والنجارة والحياكة والحياطة . ومن الصنائع النافعة ( الحرة ) صناعة التوليد والطب ، ولكن في الحواضر والامصار دون البوادي لأن المرض من نتائج الترف المفقود في البادية . ومن الصنائع الانسانية الجميلة الخط والكتابة والوراقة ( نسخ الكتب وتجليدها ) والغناء .

ولابن خلدون على الصنائع ملاحظة قيمة جداً هي انها تكسب صاحبها عقلاً لأن الاشتغال بالصنائع والتدرج في مراتبها وممارسة دقائقها تثقف العقل ، فان للصنائع قوازين اذا عرفها الانسان انتظمت في نفسه وعقله « علوماً فيحصل منها زيادة عقل » .

#### ٧ - العلم والتعليم امر طبيعي في العمران البشري

ليس من الممكن ان نحلل هذا الفصل لتناوله انواع العلوم كلها، ولكنني سأعرض آراءه الخاصة في العلوم المختلفة ثم عرض آراءه في « التعليم » لانها قيمة صائبة طريفة . يرى ابن خلدون ان الانسان متميز من الحيوان بالفكر الذي يهتدي به لتحصيل معاشه وبالتعاون مع ابناء جنسه وقبول ما جاءت به الانبياء ... وهو مفكر دائماً لا يفتقر عن الفكر . والعلوم تكثر مع استبحار الحضارة لانها صناعة من الصنائع الكيالية . ثم ان العلوم صنفان : صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكرة كالعلوم الفلسفية ، وصنف « مستند الى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول » وهي العلوم النقلية الوضعية وهي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم ... ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي .

( ١ ) فالعلوم النقلية علوم القرآن اي القراءات والتفسير ثم علوم الحديث والفقه والفرائض ( الميراث ) ، وعلوم الكلام وغايتها الرد على المنحرفين في الاعتقادات

عن مذاهب السلف . ويرى ابن خلدون ان الحاجة اليه كانت ماسة حينما كثر  
المبتدعون ، اما في عهده فلم يبق لعلم الكلام فائدة . وكذلك علم التصوف عنده  
من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، واصله الزهد في الدنيا ولكن المتأخرين من  
المتصوفة حادوا عن السبيل السوي . ويرى ابن خلدون ان لبعض الاولياء كرامات  
لا تنكر . ويظهر انه يأخذ بأراء المعتدلين من المتصوفة . وهو يعتقد بان الرؤيا  
( المنامات ) موجودة ولا بد من تعبيرها ( تفسيرها ) لأنها من مدارك الغيب اذ  
هي جزء ضئيل من النبوة .

( ب ) ويستعرض ابن خلدون العلوم العقلية ويؤرخها تاريخاً ، ولا يبدي  
رأياً في العلوم العددية كالحساب والجبر والمقابلة والمعاملات ( الحساب التجاري ) .  
ثم يأتي الى العلوم الهندسية فيذكر الهندسة المسطحة والهندسة المخصوصة بالاشكال  
الكروية والمحروطات ثم المساحة ثم المناظرة ( البصريات ) ويمتدح تأثيرها كلها في  
العقل . ويتكلم على علم الهيئة ( الفلك ) . وبعدئذ يأتي الى المنطق والطبيعات والطب  
على انها من فروع الطبيعات كعلم لا كصناعة ، وكذلك الفلاحة . ثم يتكلم  
على علم الاهليات فيحسن تاريخه ولا يظهر الميل له . واذا تكلم على السحر والطلسمات  
لم ينكر التأثير الروحاني . وهو لا ينكر وجود السحر على ما جاء في الآثار الدينية  
ولكنه يعتقد انه مضر ومفسد للعقيدة الايمانية لانه يرد الامور الى غير الله ، وهو  
لا يبحث عليه بل ينفر منه . وكثير مما يأخذ به ابن خلدون من السحر راجع في  
الحقيقة الى « علم النفس » وتأثير الشخصية . ولا سبيل الى التوسع فيه هنا . ثم ينتقل  
الى الكلام على الكيمياء ( تحويل المعادن الحسيسة كالرصاص والنحاس الى معادن  
شريفة كالفضة والذهب ) ، وبعد ان يعرض اقوال اصحابها ينفيها ويجزم بانها مستحيلة  
بعد ان يكون قد انكر ثمرة الفلسفة لان ، « الموجودات التي وراء الحس وهي  
الروحانيات ... فان ذواتها مجهولة رأساً ولا يمكن التوصل اليها ولا البرهان عليها » .  
وقال ببطلان صناعة النجوم ( التنجيم ) التي يقصد منها معرفة الغيب من طريق  
الكواكب ، لان تأثير الكواكب في ما تحتها باطل اذ تبين في باب التوحيد ان لا  
فاعل الا الله .

صناعة التعليم خاصة التعليم صناعة خاصة غايتها اثبات ملكة العلم في نفوس المتعلمين لا حمل المتعلمين على حفظ فروع العلوم . ويضع ابن خلدون لتحقيق هذه النظرية قواعد .

(١) مراعاة مقدرة المتعلم العقلية فيما يلقي اليه من نوع العلم ومقدار ذلك النوع .  
(٢) التدرج بالمتعلم من السهل الى الاقل سهولة في ثلاث تكرارات : « اعلم ان تلقين العلم للمتعلم انما يكون مفيداً اذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا يلقي عليه اولاً مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له شرحها على سبيل الاجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي الى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسأله . ثم يرجع به المعلم الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شد فلا يتروك عويصاً ولا مهما (؟ مبهما) ولا مغلقاً الا وضحه وفتح له مقفله فيخلص الطالب من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعلیم المفيد، وهو كما رأيت يحصل في ثلاث تكرارات . وقد يحصل للبعض في اقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه . »

(٣) يحسن الا يشتغل المتعلم الا بعلم علم ، والا يجاوز علماً الى غيره حتى يتقنه : « ومن المذاهب الجميلة والطرق الواجبة في التعليم الا يخلط على المتعلم علمان معا ، فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منها لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منها الى تفهم الآخر فيستغلقان معا ويعود منها بالخشية . واذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصراً عليه فربما كان ذلك اجدر لتحصيله . »

(٤) « وكذلك ينبغي لك الا تطول على المتعلم في الفن الواحد بتفريق المجالس وتقطع ما بينها لانه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها عن بعض فيعسر حصول الملكة بتفريقها . واذا كانت اوائل العلم واواخره حاضرة عند

الفكرة مجانية للنسيان كانت الملكة ايسر حصولا واحكم ارتباطا واقرب صيغة لان  
الملسكات انما تحصل بتتابع الفكر وتكراره ، فاذا تنوسى الفعل تنوسيت الملكة  
الناسئة عنه .

(٥) « الشدة على المتعلمين مضرة بهم ... سيما في اصغر الولد لأنه من سوء  
الملكة . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ... سطا به القهر وضيق عن  
النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمله على الكذب والحُبث  
وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الايدي اليه بالقهر عليه » فتفسد  
فيه معاني الانسانية ويصير عيالا على غيره وتكسل النفس عن اكتساب الفضائل  
والخلق الجميل .

(٦) « الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ، والسبب في  
ذلك ان البشر يأخذون معارفهم واخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل  
تارة علماً وتعلماً والقاء وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة . الا ان حصول الملسكات  
من المباشرة والتلقين اشد استحكاما واقوى رسوخا » ولا سيما عند تعدد الاساتذة  
وتنوعهم .

(٧) الفتح من لدن الله - ويرى ابن خلدون ان التعليم لا يحصل كله بالاستعداد  
والجد ، وان هناك جزءاً طبيعياً يتلقى بالفتح من الله : « فاذا حصل لك ارتباك في  
فهمك او تشغيب بالشبهات فاطرح ذلك ... واترك الامر للصناعي جملة واخلص  
الى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه ... وفرغ ذهنك فيه للغوص على  
مرامك منه ... متعرضاً للفتح من الله ... »

وهناك امور تعميق التعليم ، منها كثرة التأليف حتى لا يستطيع المتعلم ان يقرأ  
بعضها فضلا عنها كلها . ومنها كثرة « المذاهب والآراء الصناعية » التي يضع فيها  
المتعلم بين فلان وفلان . وينصح ابن خلدون المتعلم ان يفهم المسائل في ذاتها اكثر  
من ان يحاول فهم آراء المختلفين فيها . ومن ذلك اختصار كتب التعليم حتى تصبح  
ابواب العلم احاجي وأغازاً يصعب على عقل المتعلم المبتدئ ان يفهمها .  
ثم ان ابن خلدون يرى ان العلوم نوعان : « علوم مقصود بالمذات » كتفسير

«القرآن والحديث والفقه وعلم الكلام، الطبيعيات والالهيات، وهذه لا حرج في التوسع فيها» ثم علوم هي وسيلة آلية «لهذه العلوم كالعربية (النحو والبلاغة) والحساب والمنطق فلا ينبغي ان ينظر فيها الا من حيث هي آلة... والا ضار الاستغال بها لغوآ، على صعوبة الحصول على ملكتها، وربما يكون ذلك عائقا عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات... فاذا قطع المتعلمون العر في تحصيل الوسائل فتمنى يظفرون بالمقاصد؟ فلهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية الا يستبحروا في شأنها، (وان) ينبهوا المتعلم على الغرض منه ويقفوا به عندها. فمن تزعت به همته بعد ذلك الى شيء من التوغل فليرق له ما شاء من المراقى صعبا او سهلا...»

### ٨ - آراؤه الادبية

قلما يعنى الباحثون بآراء ابن خلدون الادبية، ولا عجب فان آراءه الاجتماعية قد بهرت الانظار حتى صرفتها عن كل شيء آخر في المقدمة. ثم ان ابن خلدون نفسه لم يقصد الا الناحية الاجتماعية التي تضم فيما تضم «العوارض الادبية». يرى ابن خلدون ان اللغة (الفصحى) كانت للعرب الاولين بكل ما فيها من جزالة اللفظ ومثانة التركيب وصحة الاعراب ملكة متقررة في العضو الفاعل لها (يعني اللسان) يروها الصغير عن الكبير بالنقل والمحاكاة صحيحة دقيقة كما هو شأننا الآن في تناقل لهجاتنا العامية. فلما انتشر العرب بالفقوح وخالطوا العجم تغيرت تلك الملكة بما ألقى اليها السمع من المخالقات التي لمستعربين، «والسمع ابو الملكات اللسانية». على ان ملكة اللغة في مفرداتها وفي تركيبها لا تتغير مع الزمن ولا تفسد كما تفسد ملكة النحو، ولذلك كانت العناية بالنحو اولى من العناية باللغة لفهم القرآن الكريم والحديث... اما في التخاطب نفسه فليس فقدان الاعراب بضائر شيئا ما دام كل صقع «متوصل بلغته الى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة. ولا نكر بان لغات العصر الحاضر (اللهجات) مخالفة للغة مضر (العربية الفصحى) فمن اراد الحصول على ملكة اللسان المضرى فعليه ان يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على اساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف ومخاطبات فحول العرب في اسجاعهم وامعارهم... ثم يتصرف بعد ذلك

في التعبير عما في ضميره حسب عبارتهم وتأليف كلماتهم ... فتحصل له الملكة بهذا الحفظ والاستعمال . على ان الاحاطة بقوانين اللغة قد لا يهب الملكة فيها ، فرب عالم بقوانين النحو لا يستطيع ان يكتب رسالة خالية من اللحن ، ورب شاعر قدير قد لا يعرف مجور الشعر وجوازاته ، اذ ان مدار ذلك على الذوق وهو ان يهتدي الانسان بملكته الراسخة فيه الى وجوه التعبير عما في نفسه على اساليب العرب . فاذا عرض عليه الكلام حائداً عن اسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم اعرض عنه وبجه وعلم انه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم ، وربما يعجز عن الاحتجاج لذلك . وهذا امر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير الممارس كواحد منهم .

وقد ذكر ابن خلدون ان الاجادة لا تتفق لانسان في صناعتين كالنجارة والحياطة مثلاً لأن الصنائع وملكاتها لا تزدهم ، وان من سبقت له اجادة في صناعة فقل ان يجيد في اخرى او يستولي فيها على الغاية . ولقد طبقت ذلك على النثر والشعر واعتقد ان الاجادة فيهما معاً لا تتم الا للاقل . اما الفارق بين الشعر والنثر عنده فهو الالفاظ لا المعاني وانما المعاني تبع للالفاظ ، ذلك لأن المعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر ما يشاء ويرضى فلا يحتاج الى صناعة . وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة وهو بمثابة القوالب للمعاني ، فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه - وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء - كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد ، والمعاني واحدة في نفسها ... ولذلك كانت جودة النظم او النثر تابعة لجودة المحفوظ منها او المسموع . وقد كان شعر الاسلاميين كحسان وعمر وجبر وبنار ارفع طبقة في البلاغة من شعر النابغة وعترة وابن كثوم وزهير ، ذلك لانهم تثقفوا بالقرآن الكريم والحديث « الذين عجز البشر عن الاتيان بمثلمها ... فنهض طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من اهل الجاهلية » .



## سأر آرائه

لما كان ابن خلدون قد طوى جميع العلوم العارضة في العمران تحت « علم العمران او علم الاجتماع » لم يكن لنا بد من ان ندرسها كما ارادها هو . اما اذا اردنا ان نعالجها منفصلة او كأنها مستقلة فاننا نكون قد خالفنا التفكير العلمي ايضا . ومع هذا فقد نستطيع ان نفصل الكلام على العلوم الآتية ( التي هي في حقيقتها منطوية في علم الاجتماع عند ابن خلدون ) كالإقتصاد والسياسة والتربية والتعليم والمنطق والجغرافيا والفلك وعلم النفس ، ولكن هذا يشوش علينا فهم آراء ابن خلدون . ان ابن خلدون لم يضع المقدمة لبحث في علم الإقتصاد والسياسة والجغرافيا وما اليها مستقلة ، ولكنه وضع مقدمته القيمة ليدل على ان هذه العلوم جميعها انما هي مظاهر من علم الاجتماع وتابعة له . ونحن اذا درسنا هذه المظاهر كلها فانما غايتنا الوصول الى فهم حقيقي للتاريخ . من اجل ذلك لا ارى مندوحة - في هذه الاوراق اليسيرة على الاقل - من ان اصر على معالجة آراء ابن خلدون في فنون الاجتماع المختلفة معالجة تدل على انها مظاهر موضوع واحد لا على انها مواضيع مستقلة .

طرائف من آراء ابن خلدون واسلوبه

## ١ - سبب نميكة البرامكة

وانما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجاجهم اموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه، فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في امور ملكه. فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمرؤا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولداهم وصنائعهم واحتازوها عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابه وسيف وقلم. يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وقلم زاحوا فيها اهل الدولة بالمنالك ودفعوهم عنها بالراح لما كان ابيهم يحيى من كفالة هرون ولي عهد وخليفة حتى شب في حجره ودرج من عشه وغلب على امره وكان يدعوه يا ابت. فتوجه الايثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانديسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وفصرت عليهم الآمال وتخطت اليهم من اقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسربت اليهم في سبيل التزلف والاستمالة اموال الجباية وافاضوا في رجال الشيعة وعظاء القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خيلقتهم واستنوا لعفاتهم الجوائز والصلوات واستولوا على القرى والضياح من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى اسفوا البطانة واحقدوا الخاصة واغصوا اهل الولاية فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثير من الدولة عقارب السعاية... حتى نزل عرشهم والقيت عليهم سماؤهم وخسفت الارض بهم وبادرهم وذهبت سلفاً ومثلاً للاخيرين ايامهم.

## ٢ - اثر المنافع في الوان البسر زاهد فرهم

وقد توهم بعض النسابين ممن لا علم له بطبائع الكائنات ان السودان هم ولد

حام بن نوح اختصوا بلون السواد لدعوة كانت عليه من ابيه ظهر اثرها في لونه، وينقلون في ذلك حكاية من خرافات القصاص ... وفي القول بنسبة السواد الى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد واثرها في الهواء وفي ما يتكون فيه من الحيوانات وذلك ان هذا اللون شمل اهل الاقليم الاول والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة في الجنوب، فان الشمس سامت رؤوسهم مرتين في كل سنة قريبة احدهما من الاخرى فتطول المسامة عامة الفصول فيكثر الضوء لاجلها ويلج القبط الشديد عليهم وتسود جلودهم لافراط الحر . ونظير هذين الاقليمين بما يقابلها من الشمال الاقليم السابع والسادس شمل سكانها ايضاً البياض من مزاج هوائهم للبرد المفرط بالشمال ...

### ٣ - المغلوب والغالب

... ان النفس ابدأ تعتقد الكمال في من غلبها وانقادت اليه ... ولذلك ترى المغلوب يتشبه بالغالب في ملبسه ومركبه وسلاحه وفي سائر احواله ... وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهله زي الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم . حتى انه اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والافتداء حظ كبير ... وتأمل في هذا سر قولهم : العامة على دين الملك فانه من بابه ، اذ الملك غالب لمن تحت يده والرعية مقتدون به ، لاعتقاد الكمال فيه ... والامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء . والسبب في ذلك ... ما يحصل في النفوس من الكسل اذا ملك امرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليه فيقصر الامل ويضعف التناسل . والاعتبار انما هو عن جدة الامل وما يحدث عنه من النشاط في القوى الحيوانية .. ولهذا انما تدعن للرق في الغالب امم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم في عرض الحيوانات العجم ... او من يروجو بانتظامه في ربة الرق حصول رتبة او افادة مال او عز كما يقع لممالك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة ، فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلا يأنفون من الرق لما ياملونه من الجاه

والرتبة باصطفاء الدولة ( اياهم ) .

#### ٤ - المكوس وتجارة السلطان

... الدولة تكون في اولها بدوية ... فتكون لذلك قليلة الحاجاب لعدم الترف وعوائده فيكون خرجها وانفاقها قليلا ... ثم لا تلبث ان تأخذ بدین الحضارة في الترف وعوائدها وتجري على نهج الدول السابقة قبلها فيكثر لذلك خراج اهل الدولة ... والسلطان ... ولا تفي بذلك الجباية فتححتاج الدولة الى الزيادة في الجباية ... فتزيد في مقدار الوظائف والوزائع ... ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن جباية الاموال من الاعمال والقاصية فنقل الجباية ... فيستحدث صاحب الدولة انواعاً من الجباية يضرها على البياعات ويفرض لها قدراً معلوماً على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان السلع في اموال المدينة ... وربما يزيد ذلك في اواخر الدولة زيادة بالغة فتكسد الاسواق لفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران .

( ثم ان الدولة اذا زادت حاجتها الى المال تلجأ تارة الى الزيادة في القاب المكوس ان كانت قد استحدثت من قبل ... وتارة باستحداث التجارة والفلاحة للسلطان على تسمية الجباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد والغلات مع يسارة امواهم وان الارباح تكون على نسبة رؤوس الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوانات والنبات لاستغلاله في شراء البضائع وتيسير اسباب ذلك فان الرعايا متكافئون في اليسار متقاربون ومزاحمة بعضهم بعضاً تنتهي الى غاية وجودهم او تقرب . فاذا رافقهم السلطان في ذلك ، وماله اعظم كثيراً منهم ، فلا يكاد احد منهم يحصل على غرضه في شيء من حاجاته ويدخل على النفوس من ذلك غم ونكد . ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير ، اذ تعرض له ، غضباً او بايسر ثمن او لا يجد من يناقشه في شرائه فيبخس ثمنه على بائعه . ثم اذا حصل فوائد الفلاحة وفعلمها كله من زرع او حري او غسل او سكر او غير ذلك من انواع الغلات وحصلت بضائع التجار من سائر الانواع فلا ينتظرون ( اي اهل الدولة ) حوالة الاسواق ولا نفاق البياعات

لما يدعوم اليه تكاليف الدولة فيكلفون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح بشراء تلك البضائع ولا يرضون في ائمانها الا القيم وازيد... وقد ينتهي الحال بهؤلاء المنسلخين للتجارة والفلاحة من الامراء والمنتقلين في البلدان انهم يتعرضون لشراء الفلات والسلع من اربابها الواردين على بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون وبييعونها في وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يفرضون من الثمن . وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم .

## ٥ - اسعار المرد

... فاذا استبحر المصر وكثر سكانه رخصت اسعار الضروري من القوت وما في معناه وعلت اسعار الكهالي من الادم والفواكه وما يتبعها، واذا قل ساكن المصر وضعف عمرانه كان الامر بالعكس ، والسبب في ذلك ان الحبوب من ضرورات القوت فتتوفر الدواعي على اتخاذها اذ كل احد لا يميل قوت نفسه ولا قوت منزله لشهره او سنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر منهم في ذلك المصر او فيما قرب منه لا بد من ذلك . وكل متخذ لقوته ففضل عنه وعن اهل بيته فضلة كبيرة تسد خلة كثيرين من اهل ذلك المصر من غير شك فتخصص اسعارها في الغالب ... واما سائر المرافق من الادم والفواكه وما اليها فانها لا تعم بها البلوى ولا يستغرق اتخاذها اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثيرين منهم . ثم ان المصر اذا كان مستبحراً موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق ( الكهالية ) والاستكثار منها كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها ( عن ) الحاجات قصوراً بالغاً ويكثر المستامون لها، وهي قليلة في نفسها، فيزدحم اهل الاغراض ويبدل اهل الرفه والترف ائمانها باسراف في الغلاء حاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء .

## ٦ - الحجر على الملك

اذا استقر الملك في نصاب معين ومنبت واحد من القبيل القاءين بالدولة

وانفردوا به ودفعوا سائر القبيل عنه وتداوله بنوم واحد بعد واحد بحسب الترشيح فربما حدث التغلب على المنصب من وزراءهم وحاشيتهم . وسببه في الاكثر ولاية صبي صغير او مُضعف من اهل المنبت يتوشح للولاية بعهد ابيه او بتوشيح ذويه وخوله ويؤنس منه العجز عن القيام بالملك فيقوم به كافلة من وزراء ابيه وحاشيته ومواليه او قبيله وبورّي بحفظ امره عليه حتى يؤنس منه الاستبداد ويجعل ذلك ذريعة للملك فيحجب الصبي عن الناس ويعوده ( الترف ) . . . وينسيه النظر في الامور السلطانية حتى يستبد عليه وهو ، بما عوده ، يعتقد ان حظ السلطان من الملك انما هو جلوس السرير واعطاء الصققة وخطاب التهويل والقعود مع النساء خلف الحجاب ، وان الحل والربط والامر والنهي ومباشرة الاحوال الملوكية وتفقدتها من النظر في الجيش والمال والثغور انما هو للوزير . . . وذلك انما يوجد في الاكثر عن احوال الترف ونشأة ابناء الملك منغمسين في نعمه قد نسوا عهد الرجولة والفوا اخلاق الدايات والآثار وربوا عليها فلا ينزعون الى رئاسة ولا يعرفن استبداداً من تغلب ، انما همهم في القنوع بالاهمة والتنفس في الذات وانواع الترف .

### ٧ - من المرباهم : فن التاريخ يجب ان يصبح « علماً »

اما بعد فان فن التاريخ من الفنون التي تتداولها (١) الامم والاجيال ، وتُشدّ اليه الرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والاعمال ، وتتنافس فيه الملوك والاعيان وتتساوى في فهمه العلماء والجهال . اذ هو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول ، والسوابق من القرون الأول : تنمو فيها الاقوال ، وتضرب فيها الامثال وتُطرف بها الاندية اذا غضبها الاحتفال ، وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الاحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمرها الارض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال . وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئ دقيقة ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق . فهو لذلك اصيل في (١) كهذا بالاصل

الحكمة وعريق ، وجدير بان يعد في « علومها » وخلق .

وان فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا اخبار الايام وجمعوها ، وسطروها في صفحات الدفاتر واودعوها ، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها وابتدعوها وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها . واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدوها الينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا اسباب الوقائع والاحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الاحاديث ولا رفعوها . فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب قليل ، والغلط والوهم نسيب للاخبار واخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على الفنون عريض طويل ، ومرعى الجهل بين الانام وخيم وبيل ، والحق لا يقاوم سلطانه ، والباطل يقذف بشهاب النظر شيطانه .

هذا وقد دون الناس في الاخبار واكثروا ، وجمعوا تواريخ الامم والدول ، في العالم وسطروا . والذين ذهبوا بفضل الشهرة والامامة المعتبرة ، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صفحهم المتأخرة ، هم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الانامل ولا حركات العوامل : مثل ابن اسحق والطبري وابن الكلبى ومحمد بن عمر الواقدي وسيف بن عمر الاسدي وغيرهم من المشاهير ، المتميزين من الجماهير . وان كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الاثبات ، ومشهور بين الحفظة الثقاة ، الا ان الكافة اختصتهم بقبول اخبارهم ، واقتفاء سننهم في التصنيف واتباع آثارهم . والناقد البصير قطاس نفسه في تريفهم في ما ينقلون او اعتبارهم . فللعمران طبائع في احواله ترجع اليها الاخبار ، وتحمل عليها الروايات والآثار .

ثم لم يأت بعد هؤلاء الامقلد ، او بليد الطبع والعقل او متبلد ، ينسج على ذلك المنوال ويمتدني منه بالمثال ، وبذهل عما احالته الايام واستبدلت من عوائد الامم والاجيال : فيجلبون الاخبار عن الدول ، وحكايات الوقائع في العصور الاول ، صوراً قد تجردت عن موادها ، وصفاحاً انتضت من اغمادها ... وانما هي حوادث لم تعلم أصولها ، وانواع لم تعتبر اجناسها ولا

تحققت فصولها ، يكررون في موضوعاتها الاخبار المتداولة باعيانها ، اتباعاً لمن عني من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون امر الاجيال الناشئة في ديوانها بما عوزهم عليهم (؟) من ترجمانها ، فتستعجم صحفهم عن بيانها . ثم اذا تعرضوا الذكر الدولة نسقوا اخبارها نسقاً ، محافظين على نقلها وهماً او صدقاً : لا يتعرضون لبدائتها ، ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايته . . . ولا علة الوقوف عند غايتها .

ولما طالعت كتب القوم ، وسبرت غور الامس واليوم . . . انشأت في التاريخ كتاباً ، رفعت به عن احوال الناشئة من الاجيال حجاباً ، وفصلته في الاخبار والاعتبار باباً باباً ، وابدت فيه لاولية الدول وال عمران اسباباً ، وبنيت على اخبار الامم الذين عمروا المغرب في هذه الاعصار . . . ومن سلف لهم من الملوك والانصار ، وهما العرب والبربر . . . فهذبت مناحيه تهذيباً ، وقربته لافهام العلماء والخاصة تقريباً ، وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً ، واخترته من بين المناحي مذهباً عجيباً ، وطريقة مبتدعه واصلوباً . وشرحت من احوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الانساني من العوارض الذاتية ما يمتنع بعلل الكوائن واسبابها ويعرفك كيف دخل اهل الدول من ابوابها ، حتى تنزع من التقليد يدك ، وتقف على احوال ما قبلك من الايام والاجيال وما بعدك .



## الفهرست

٣	الكلمة الاولى
٤	الكلمة الثانية
٥	بعض المصادر والمراجع
	١ - ابن خلدون :
٧	عصره
٨	موجز ترجمته
١٠	كتبه
	٢ - ابن خلدون :
١٢	مقامه في تاريخ الفلسفة
١٥	خصائصه
١٨	آراؤه :
١٩	التاريخ
٢١	العمران والاجتماع
٢٢	المصيبة خاصة
٢٧	الاحوال المعارضة في العمران
٢٨	وجوه الكسب والمعاش :
٢٩	الفلاحة ، التجارة ، الصناعة
٣٣	صناعة التعليم
٣٥	آراؤه الادبية
٣٧	سائر آرائه

٣٨	طرائف من آرائه
٣٨	سبب نكبة البراءة
٣٨	- اثر المناخ
٣٩	الغالب والمغلوب
٤٠	٥ المكوس وتجارة السلطان
٤١	٥ اسعار المدن
٤١	الحجر على الملك
٤٢	من الديباجة : فن التاريخ

## نخبة من دراسات وكتب

### المدركتور عمر فروخ

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق  
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي  
استاذ الفلسفة الاسلامية والادب العربي  
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

### دراسات قصيرة

- ٤٠ - ١ - الحجاج بن يوسف ( الطبعة الثانية )
- ٧٥ - ٢ - عمر ابن ابي ربيعة ( الطبعة الثانية )
- ٤٠ - ٣ - عبد الله بن المقفع ( الطبعة الثانية )
- ١٠٠ - ٤ - الرسائل والمقامات ( الطبعة الثانية )
- ٥٠ - ٥ - ابن الرومي ( الطبعة الثانية )
- ٦٠ - ٦ - احمد شوقي ( الطبعة الثانية )
- ٥٠ - ٧ - ابن خلدون ( الطبعة الثانية )
- ٨ - اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية ( الطبعة الثانية )
- ١٢٥ - ٩ - شعراء البلاط الاموي ( الطبعة الثانية )
- ١٠٠ - ١٠ - الفارابيان : الفارابي وابن سينا ( الطبعة الثانية )
- ٧٥ - ١١ - اربعة ادياء معاصرين
- ١٥٠ - ١٢ - خمسة شعراء جاهليين
- ١٢٥ - ١٣ - بشار بن برد ( الطبعة الثانية )
- ٥٠ - ١٤ - نهج البلاغة
- ٢٥٠ - ١٥ - اخوان الصفا
- ١٠٠ - ١٦ - ابن باجه

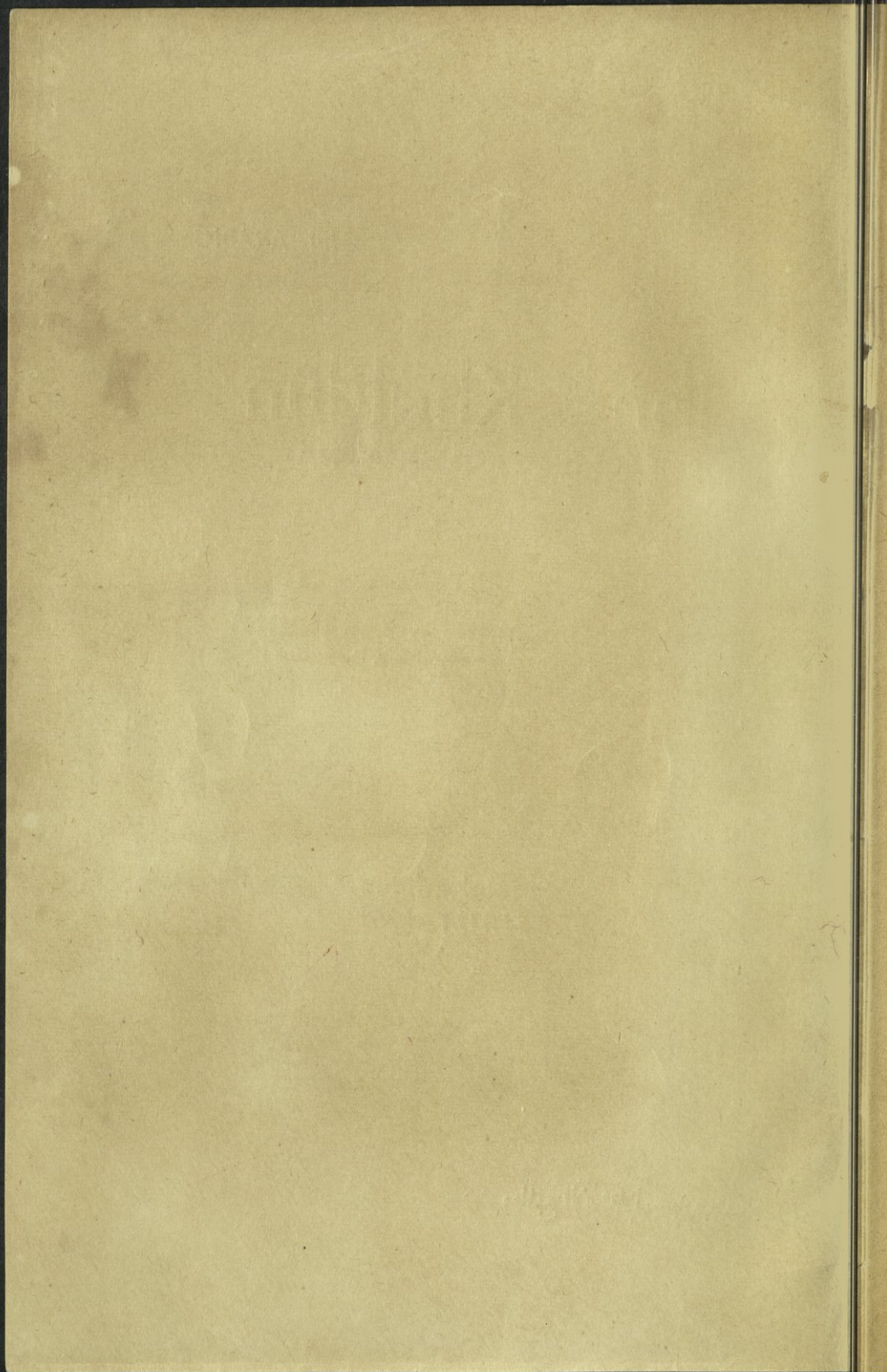
- ١٢٥ - ١٧ - ابن طفيل  
 ٢٠٠ - ١٨ - التصوف في الاسلام  
 ١٥٠ - ١٩ - الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب  
 ١٠٠ - ٢٠ - موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية

### دراسات أخر



- ١٥٠ ابو نواس : دراسة ونقد ( الطبعة الثالثة )  
 ٥٠ ابو نواس : مختارات  
 ١٠٠ ابو تمام  
 ٢٥٠ حكيم المعرة ( الطبعة الثانية )  
 ٣٠٠ عبقرية العرب في العلم والفلسفة  
 ١٥٠ الاسلام على مفترق الطرق ( الطبعة الثانية )  
 ١٠٠ نحو التعاون العربي  
 ( نفذ ) دفاعاً عن العلم  
 ٥٠ دفاعاً عن الوطن

٦٠٠ Das Bild des Frühislam in der  
 arabischen Dichtung von der Higrā  
 bis zum Tode Umars, 1 - 23 d. H.  
 ( 622 - 644 n. Ch. ) Leipzig 1937.



IN ARABIC

Ibn Khaldûn  
and his PROLEGOMENA

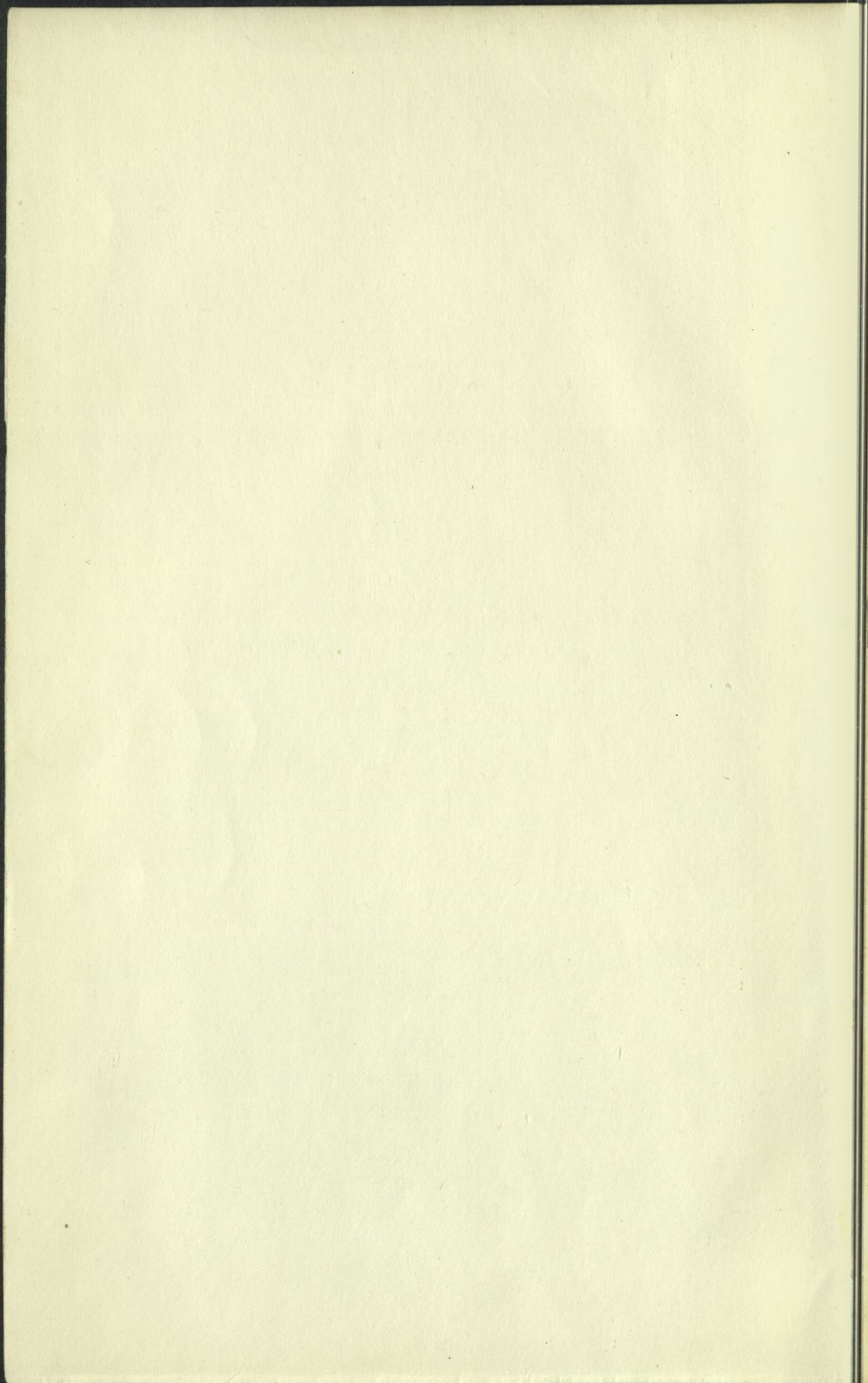
BY

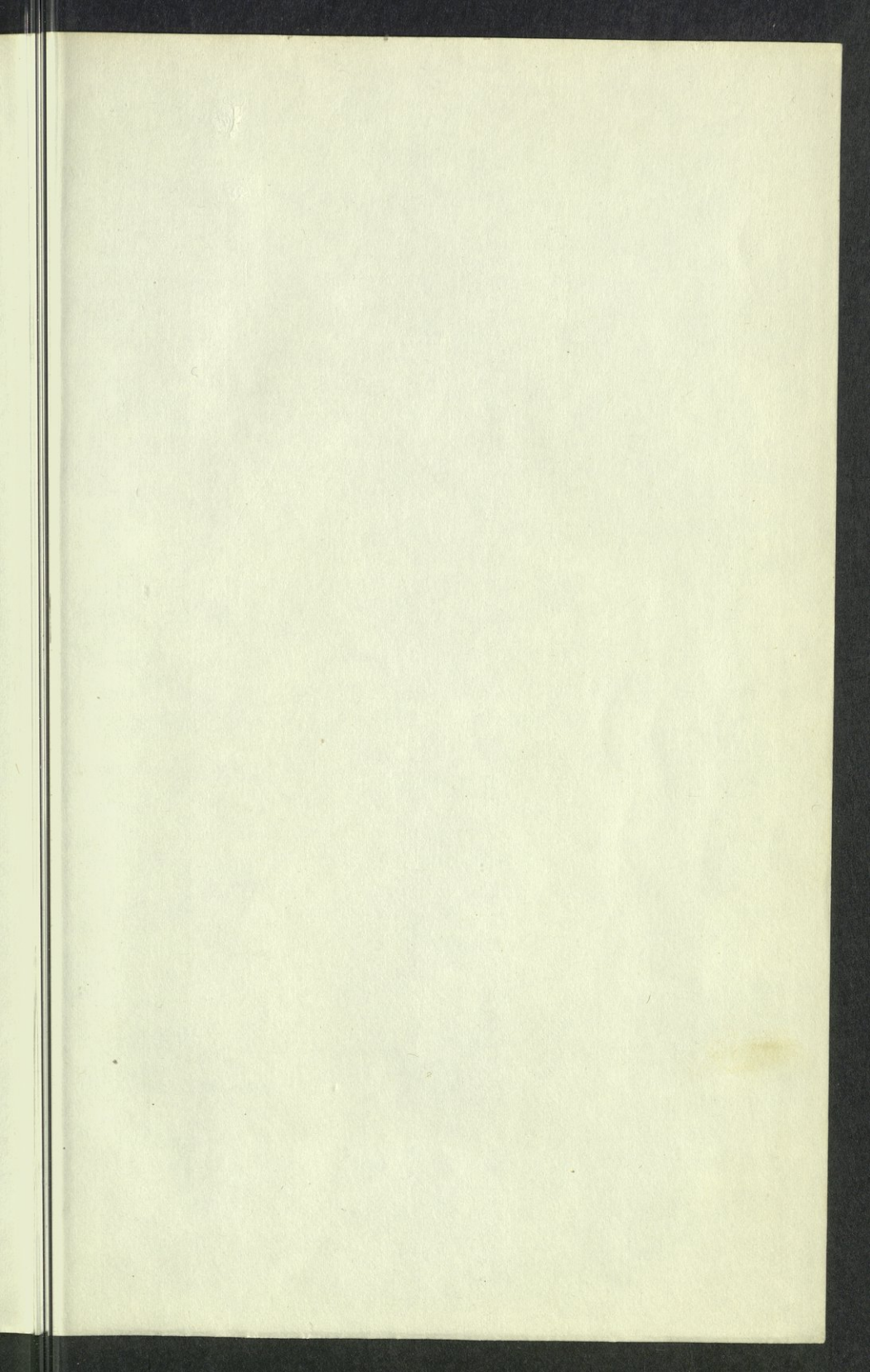
**Dr. Phil. OMAR A. FARRUKH**

Member of the Arab Academy, Damascus ;  
Member of the Islamic Research Association, Bombay.

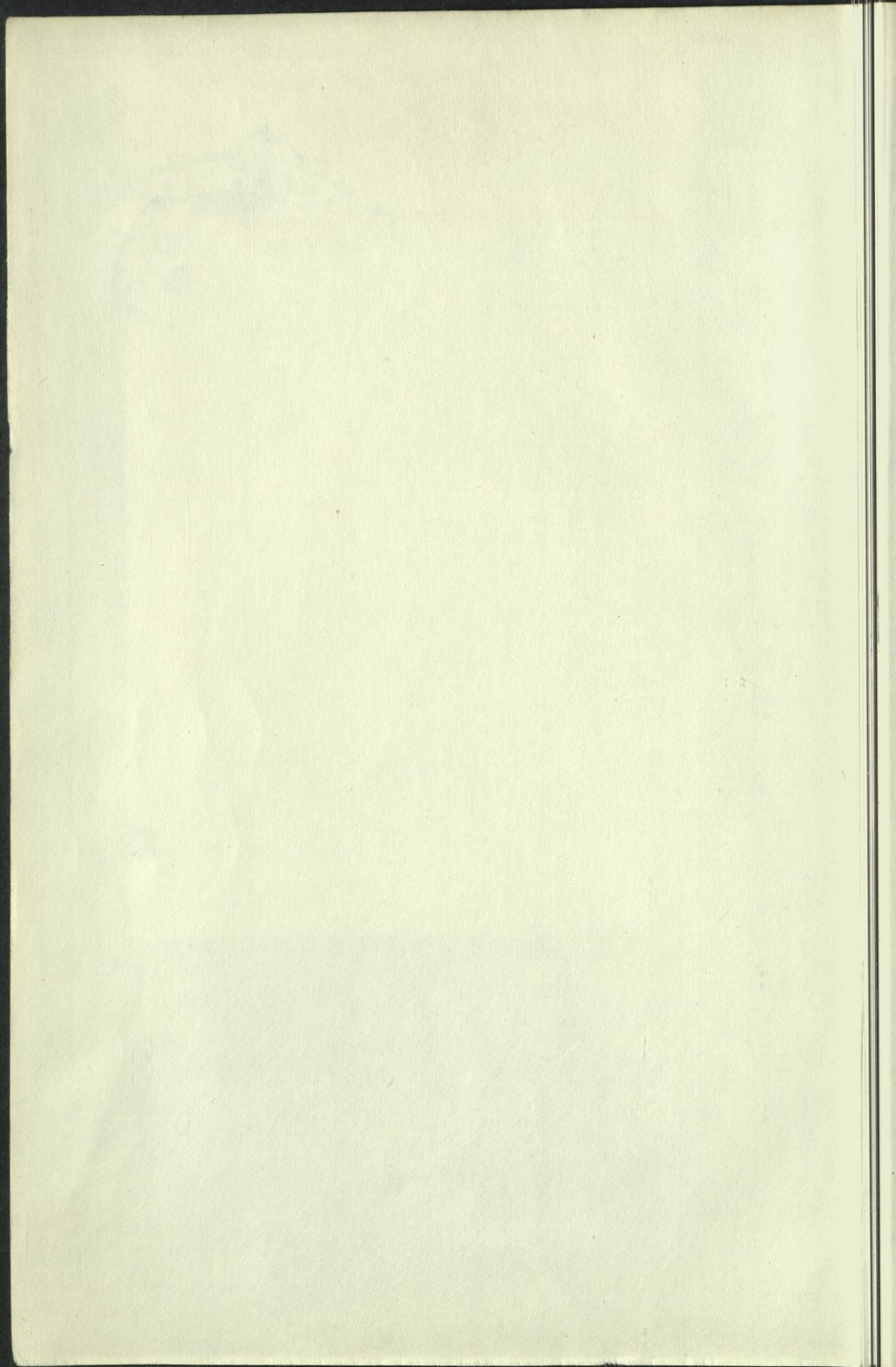
*Second Edition*  
**BEIRUT 1951**

مطابع الاستقلال - بيروت









DATE DUE

JAFET LIB.  
\* 15 MAR 2006 \*  
Circulation Dept. 2

JAFET LIB.  
\* 29 MAR 2006 \*  
Circulation Dept. 1

JAFET LIB.  
\* 13 JAN 2010 \*  
Circulation Dept. 2

Circulation

928.927:I45fA:c.1

فروخ، عمر

كلمة في ابن خلدون ومقدمته

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01055066

928.927

I45fA

928.927  
I45FA  
C.1